الفصل الاول

٢٠٢١

مؤمنون تحت الحصار

إلى متى تنساني؟

فَمَتى أمسَتْ رَحَى البَلْوى تدَور...

من ذاكرة النشرة: تدشين كنيسة طرابلس الإنجيلية

كيف تعمل اللقاحات؟

Design :: Carole Maroun

النشرة
مجلة إنجيلية جامعة
١٨٦٣

رئيس التحرير
القس ربيع طالب

هيئة التحرير
الشيخة إلهام أبو عبسي
القس بطرس زاعور
القس سليم فرح
القسيسة نجلا قصّاب
الواعظة هالة بيطار

المسؤولية أمام الجهات الرسميّة
القس جورج ديب مراد

تدقيق لغوي
Horizons

مجلّة إنجيليّة جامعة
أولى المجلات العربية، تأسّست عام ١٨٦٣يصدرها
السينودس الإنجيلي الوطني في سورية ولبنان

النشرة
مجلة إنجيلية جامعة

الفصل الأول ٢٠٢١
مؤمنون تحت الحصار

١ كلمة التحرير
مؤمنون تحت الحصار ..... القس ربيع طالب ٥

٢ عظات من المنبر
الصبر في وقت الضيق ..... القسيسة رولا سليمان ٨
هويتي الإنجيلية : تعريف اللاهوت – اللاهوت المُصلح ٩
اللّه: راعينا وحامينا ..... القس جورج جبرا القبطي ١٢
شذرات : المسيح يلهث من أجلك ..... القس يعقوب صباغ ١٧
ثبات الإيمان وسط الضيقات ..... الأخ يوسف خاشو ١٨

٣ مقالات من المكتب
إلى متى تنساني؟ ..... الأخ حسان دير عطاني ٢٥
هويتي الإنجيلية : اختبار اللّه – الوحي ٣٠
فَمَتى أمسَتْ رَحَى البَلْوى تدَور ..... القس أديب عوض ٣١

٤ درس الكتاب المقدّس
«العهد» في العهد القديم ..... االقس د. هادي غنطوس ٣٨
شذرات : لان اللّه لم يعطنا روح الفشل ..... القس سهيل سعَود ٦٠
تب فاغلب ..... القس مفيد قره جيلي ٦١

٥ من ذاكرة النشرة
تدشين كنيسة طرابلس الإنجيلية (ك٢ ١٩٤٩) ٧٣
كلمة القس رشيد أنطونيوس في خدمة التدشين ٧٥
ماذا علمتني الحياة ٧٨

٦ كان يا ما كان
المحك ..... القس سليم فرح ٨٠

٧ صحّتي
كيف تعمل اللقاحات؟ ٨٤

مؤمنون تحت الحصار

القس ربيع طالب

خروج ١٤: ٥-١٤

«فقدنا السيطرة، والوباء يفتك بنا. انتهت حُلول الأرض، الأمر متروك للسماء» عبارة قالها رئيس الوزراء الإيطالي جوسيبي كونتي خلال تصدّي بلاده لوباء كورونا...

ما أصعب أن نصل لموقف لا نجد من المشاكل مخرجًا، ولا مفرًّا من الألم! في الحقيقة رأيت هذه الحالة في وضع الناس الحالي، فَمَع الإغلاق التام للبلاد خوفًا من ازدياد أعداد مرضى الكورونا، اصطدمنا بشبح الجوع، بعد إيقاف عمل الناس. وها نحن نقف في الوسط، إمّا نعود أدراجنا فنواجه المرض، أو نمشي للأمام فنواجه الجوع والفقر.

لطالما عاش الشعب هكذا اختبارات، أهمها في قصة الخروج من مصر. فهرب الشعب بقيادة موسى وهارون من أرض مصر فلحقهم فرعون ورجاله، حتى حوصروا بين فرعون والبحر! كما نحن اليوم بين كورونا والجوع ...

ومن اختبار الشعب هذا نتعلّم ٣ رسائل لاختبارنا الحالي:

١. لا نفقد السيطرة على أنفسنا: فزع الشعب جدّا! والنتيجة كانت الندب والكلام الفارغ الذي لا يقدّم ولا يؤخّر. فلاموا موسى ساخرين بشأن الموت في البرية وكأنه لا قبور في مصر. فقداننا السيطرة على أنفسنا لن يخلّصنا من المأزق الذي نحن نعيشه، إنما سيزيد الأزمات ويضخّمها. عندما وصل المسيح للصليب، في الوقت الذي استجوبه هيرودس، فرأى المسيح الصليب والموت أمامه، وشعبه الذي خانه وراءه، لم يفقد السيطرة على نفسه ولا على كلامه حتى، فردّ على الملك

بالكلام الذي يجب أن يُقال. عندما يقع شخص في مشكلة ويُلقى القبض عليه، أولى الكلمات التي يقولها إنه لن يتكلّم إلّا بوجود محامٍ. لأنّ كلامه الغير موزون سيزيد الطين بلّة...

٢. ثقوا أنّ الله سيتدخّل: في اختبار الشعب نرى نموذجين عن ردّة الفعل، واحدة للشعب الذي استسلم للقدر، وبأنه سيموت في البرية. وواحدة لموسى الذي وثق أنّ الله سيخلّص شعبه. من السهل على موسى أن يرى خلاص الرب وقت الضربات على المصريين، لكن كم يصعب أن نرى خلاص الرب وقت الحصار، وقت نُحاط بالموت! اليوم علينا أن نثق أنّ الله سيتدخّل، هذا هو الإيمان، أن نثق بما لا نرى، لأننا نعرف الله جيدًّا. فمهما ظهر لنا أنّه لا مفرّ من الموت، فلنثق أنّ الله سيتدخّل.

٣. بعد الحصار، عبور: من أهم الرسائل التي قد نستخلصها من هذه القصة، هي أنّه عندما نجد أنفسنا محاطين بالموت، حين نجد أنّه لا مفرّ، فقط هنا لدينا الفرصة أن نختبر اختبار العبور للحياة. فقط هنا نسمع عبارة «انكتبلي عمر جديد!»

لو أنّ الشعب وجد طريقًا آخر، لما اختبرَ العبور وشقّ البحر. لو المسيح وجد طريقة للنزول من الصليب، لما اختبرنا القيامة...

في كلّ مرة نرى الأزمات تحيط بنا من كل صوب وحدب، علينا أن نرى الفرصة في العبور. فالبحر الذي يرمز للموت عند الشعب، شقّه الرب ومشوا في قلب الموت وعبروا للحياة. فقط هنا اختبر الشعب الاختبار العظيم الذي غيّرهم للأبد.

يا أحبّة، كتابنا المقدّس كُتِبَ في وقت الأزمات! اليوم ونحن مُحاطون بالموت، إمّا أن نختار الاستسلام، أو نعبر إيمانيًّا فنكتب اختباراتنا الخاصة، كيف أنّ الله، في الوقت حيث كان لا طريق، شقّ الله لنا طريقًا! آمين

٢

عظات من المنبر

- الصبر في وقت الضيق
- الله: راعينا وحامينا
- ثبات الإيمان وسط الضيقات

الصبر في وقت الضيق

القسيسة رولا سليمان*

٢ تسالونيكي ٣ : ١ - ٥

يُعرّف علم النفس، فضيلة «الصبر» على أنها «حالة فاعلة، وخيار حرّ للثبات في وقت الضيق، بانتظار حصول تغيّر ما». قال أحدهم، « الصبر، هو مهارة التأقلم مع الأحداث والآلام المفاجئة التي تصيبنا، لتجنب الاحباط والكآبة والانهيار». فالصبر ليس حالةً من الجلوس الجامد، دون القيام بأيّ شيء، ولا يعني الصبر الاستسلام لواقعنا الصعب، لأنه عندما نستسلم، فاننا نُخرِج أنفُسَنا من المعادلة. الصبر في وقت الضيق، يعني طلب القوة والمعونة من الله، للتمكّن من الاستمرار وسط صعوباتنا. قال الكاتب الروسي « ليو تولوستوي، «الأقوى بين المحاربين، هما الوقت والصبر.

في الصبر، نُعلِن ايماننا بسيادة الله على كل ظروف حياتنا، مهما كانت صعبة. الصبر يسمح لنا بمعونة الله، استعادة السيطرة على زمام الأمور، التي تفلّت من أيدينا، عندما نُواجِه أوقات من الضيقات والأمراض. بالرغم من أن الله لا يُحقّق توقعاتنا، أو يستجيب لصلواتنا، لسبب ما مخبأ في سر حكمته الالهية، الاّ أننا مدعوون كمسيحيين لحياة الصبر وطول الأناة. قال المصلح الانجيلي جون كلفن،

* راعية الكنيسة الإنجيلية الوطنية في طرابلس

«على المسيحي أن لا يتوقع تحقيق رضى وسعادة كاملين على الأرض. لهذا يجب أن ينظر الى تحقيقها في الحياة الأبدية. فالايمان بالحياة الأبدية، هو أمّ فضيلة الصبر.»

يخبرنا الرسول بولس، أن سمة الصبر كانت احدى سمات المسيح، لهذا يدعونا للتمّثل بصبره، قائلا « ٥وَالرَّبُّ يَهْدِي قُلُوبَكُمْ إِلَى مَحَبَّةِ اللهِ، وَإِلَى صَبْرِ الْمَسِيحِ.» (٢ تسالونيكي ٣ : ٥). كما ان المسيح يسوع أوصى تلاميذه قائلا «بصبرِكم اقتَنُوا أنفسكم» (لوقا ٢١: ٩). أي أن صبرنا في الأوقات الصعبة، يحمينا وينقذ أنفسنا من الزلاّت والضلال. مما لا شك فيه ان الأغلبية الساحقة منا لا تستطيع أن تصبر، لأنّنا نتوقع حلولاً سريعة لمشاكلنا، وفرجًا قريبًا لضيقاتِنا، ولا نريد أن ننْتَظر طويلا. لكن الصبر يعني ان ننتظر وقت الله برباطة جأش، وانتظار الله يمنحنا قوة أكبر لتحمّل ضيقنا.

فضيلة الصبر ليست، أحد خيارات الانسان المسيحي، بل سِمة الانسان المسيحي. قال الرسول بولس لكنيسة رومية، «فرحين في الرجاء، صابرين في الضيق، مواظبين على الصلاة» (رومية ١٢: ١٢). عرّف المفسّر وليم باركلي فضيلة الصبر، على أنها «سمة في الانسان، تجعله ليس فقط قادرًا على تحمل الألم ، ولكن أن ينتصر على آلامه». فضيلة الصبر هي: وصية، وعطية من الله، في آن معا. انها وصية لأن المسيح يوصينا بها. لكنها أيضا عطية ، لأن طبيعتنا البشرية الساقطة، لا تملك القدرة على الصبر في وقت الضيق. لهذا، نحن نحتاج الى نعمة خاصة من الله كيما يُعطنا بروحه القدوس قوة الصبر. لهذا علينا أن نلجأ الى الله بالصلاة بلجاجة حتّى يمنحنا عطية الصبر».

الصبر هو الجواب الحكيم للحياة في ظروفها وصعوباتها المفاجئة وغير المتوقعة، التي تضعنا تحت ضغوطات هائلة، مثلما نعيش هذه الأيام، وتعيق رغبتنا في التمتع بالحياة. فنحن لا نستطيع تغيير ظروفنا الصعبة، لكن الشيء الوحيد الذي نستطيع القيام به، هو تسليم نفوسنا لنعمة وقوة الله ، كيما نتغير نحن، وسط الظروف الى تواجهنا، للرب كل المجد على الدوام، آمين.

تعريف اللاهوت

عندما نُفكِّر بعلماء اللاهوت، نتصوَّر أنَّه تمَّت إزالتهم من واقع الحياة الحقيقيّة وهم يتفكَّرون بافتراضات غير واقعيَّة. في الواقع، تصبح لاهوتيًّا في اللحظة التي فيها تطرح أيًا من الأسئلة الأساسيَّة عن الحياة ومعناها وعمّا إذا كان هناك أيَّة قوّة إلهيَّة معنيَّة بها. فطرْحُك هذه الأسئلة وصياغة أفكارك هُما عمل لاهوتيّ بحدِّ ذاته. ويُمكن للآخرين الذين مضوا في هذه الرحلة مساعدتنا في توسيع معتقداتنا وإيماننا، وفي نهاية المطاف تلمذتنا. وعندما نقوم بتحديد معتقداتنا ونختبرها في حياتنا اليوميَّة، يزداد وَعيُنا بالإيمان الذي نحاول التحدُّث عنه.

ومن المهمّ لجميع المسيحيِّين، وخصوصًا لأولئك المنخرطين في التعاليم المسيحيَّة والتنمية القياديَّة، فَهم معنى المصطلحَين «اللاهوت المسيحيّ» و «اللاهوت المصلَح». لماذا نحن إذًا قلقون بشأن صياغة إيماننا والتعريف عنه بطرق مختلفة؟

لنتوقَّف ونبحث عن كلمة «اللاهوت» في القاموس.

قارن هذا التعريف بما يلي:

اللاهوت: «السعي لإيجاد الحقيقة المُطلَقة عن الله، وعن أنفسنا وعن العالم الذي نعيش فيه» (العقيدة المسيحيّة، اس. غوثري، مطبعة جون نوكس، الطبعة المنقحة، ١٩٩٤، ص ١)

تعريف اللاهوت:

ما الذي يجعل اللاهوت صحيحًا؟

يُشير هارولد ويلز، في كتابه The Christic Center (مارينول، نيويورك: ٢٠٠٤) كتب أوربيس إلى أنَّ اللاهوت يكون سليمًا عندما يُظهر ميزتَين:

- الانضباط في تفكيرٍ مركزه المسيح،
- كما يجب أن يقودنا إلى تطبيق هذا الحق في حياتنا اليوميَّة.

اللاهوت المُصلَح:

هناك العديد من وجهات النظر بشأن الله والبشريَّة ولماذا نحن هنا على هذه الأرض. إنَّ هذا الجزء سوف يشمل بعض أساسيّات لاهوت الطوائف داخل الأسرة المُصلَحة المشيخيَّة.

يأتي المُصطلح «مُصلَح» من الحركة التي حصلت داخل الكنيسة في القرن السادس عشر، عندما واجه مارتن لوثر (في ألمانيا) وزوينجلي وكالڤن (في سويسرا) العقائد وهيكليّة الكنيسة في ذلك الوقت. وسبقهم قبل ذلك المصلحون المعروفون بالموراڤيين أتباع جون هوس، وهو أستاذ تمّ حرقه على الخشبة في عام ١٤١٥ بسبب أفكاره. نادى المُصلِحون بحقّ عامّة الناس بقراءة الكتاب المقدَّس ودراسته. وأكَّدوا عقيدة «كهنوت جميع المؤمنين». أي أنَّه يمكن لأي شخص، وليس لقسيس مرسوم فقط، أن يصبح كاهنًا أمام الله. كما سعوا إلى إصلاح هيكليّة الكنيسة بحيث يتمكَّن الناس العاديّون من أن يُقادوا من الروح القدس.

والكثير من التغيير في التفكير اللاهوتيّ ارتكز على مفهوم سيادة الله ونعمته. اعتقدَ المُصلِحون أنَّ الخلاص هو هبة من الله، وليس أمرًا يتمّ اكتسابه. وقد دافع المُصلِحون السويسريّون بشكلٍ خاص عن مزيد من التركيز على الوعظ وضرورة استمرار الإصلاح في الكنيسة. وتتألَّف الأسرة المُصلَحة / المشيخيَّة من العديد من الطوائف التي انبثقت من هذه الحركة. مُعظمها تشمل إمّا كلمة «المُصلَح» وإمّا «المشيخيَّة» في أسمائها. والكلمة «المُصلَح» تُشير إلى لاهوتنا، أمّا «المشيخيَّة» فإلى إدارة الكنيسة.

اللّٰه: راعينا وحامينا

القس جورج جبرا القبطي*

يُعتبَر المزمور الثالث والعشرون الأشهر بين المزامير والنصوص الكتابيّة عمومًا، وعادةً ما نتعلّمه ونحن أطفال صغار في البيت والمدرسة كمزمور حماية والتجاء إلى الله الذي يرعانا ويحمينا، والبعض يتعامل معه كما يتعامل الناس مع "الخرزة الزرقاء". وكأنّ كتابة المزمور ووضعه في الجيب أو الحقيبة المدرسيّة هو "حرز" لحاملِه. وهذه ممارسة شعبيّة رائجة.

---

* قسيس خادم في مطرانيّة القدس للكنيسة الاسقفية في القدس والشرق الأوسط، راعي كنيسة القديس بولس الأسقفيّة في الأشرفيّة- عمّان

والمزمور ٢٣ يُسْتخْدَم كثيرًا في الأزمات والمواقف الصعبة والخوف مِن المرض أو الموت أو الخطر، ويُقرَأ عادةً في الجنازات لأنّه يحمِل في آخِر آياتِه بُعْدًا اسكاتولوجيًا في المفهوم المسيحي "إِنَّمَا خَيْرٌ وَرَحْمَةٌ يَتْبَعَانِنِي كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِي، وَأَسْكُنُ فِي بَيْتِ الرَّبِّ (المنزل الأبدي) إِلَى مَدَى الأَيَّامِ ".

ومع بداية جائحة كورونا أصبَح مزمور ٢٣، مع مزامير أخرى لطلب العون والغوث الإلهي مثل مزامير ٢٧ و ٤٦ و ٩١، تُسْتَخْدَم بشكلٍ كبير ويوميّ مِن البعض وذلك لأنّ الإنسان في وقت ضيقِه وخوفِه يُريد مَن يرعى نفسَه وحياتَه، ومَن مثل إلهنا المحبّ والقدير يرعانا ويهتمّ بنا ويورِدُنا إلى مياه الراحة والتعزية ويُخفّف مِن ألمِنا ويهدئ مِن روعِنا وخوفِنا في وسط الأزمات.

وكثيرةٌ هي النظريّات حول جائحة كورونا مِن الناحية الروحيّة والإيمانيّة فضْلاً عن الكثير مِن نظريّات المؤامرة والخطط العالميّة للسيطرة على البشر وأمور ليس لها مجالٌ هنا. ولكن كثيرٌ مِن المسيحيين يرَوْنَ في المرض والألم تجربة أو اختبار إلهي لإيمانِهِم، ومنهم مَن يعتقِد أنّ المؤمِن لا تُصيبُه الأوبئة والأمراض لأنّه محميّ مِن الربّ ويُصيب البعض خيبة أمل كبيرة عندما يُصاب بمرضٍ عُضال أو بفيروس الكورونا رغم طلبِه العناية الإلهيّة وصلواتِه المستمرّة. وهناك مَن يعتقِد أنّ كلّ مرض وألم هو شرٌّ ولكنّه بسماحٍ مِن الله لاختبار إيمان الشخص أو حثّه على التوبة والرجوع.

لستُ بمعرض نقاش كلّ هذه الأفكار والردّ عليها، ولكنّي كمؤمِنٍ أعتقد أنّ المرض والألم والموت هي جزءٌ مِن حياة البشر، وكثيرٌ مِن هذه الأتعاب والآلام يسبّبُها البشر أنفسُهُم لِأنفسِهِم ولغيرِهِم مِن خلال العبثيّة وعدم المسؤوليّة والفساد البشري. كم مِن إصابةٍ بفيروس كورونا حصلَتْ بسبب عدم مسؤوليّة البعض بالالتزام بالتعليمات الصحيّة والتكبّر على وضع الكمّامة أو التأكّد مِن الإصابة عند ظهور بعض الأعراض البسيطة ... وكم مِن إنتشارٍ للفيروس حصل بسبب تقصير مِن الجهات المعنيّة وفساد لدى المكلّفين بمتابعة هذه التعليمات؟! وهناك أمثلة كثيرة عن التلوّث والعادات الصحيّة السيّئة ... الخ

المرض والموت جزء مِن الحياة، جزءٌ مِن الضعف البشريّ الذي ورِثْناه عن آدم وحوّاء، والكتاب المقدّس لا يعطينا وعدًا واحدًا أنّ المؤمِن لن يتعرّض للألم أو المرض أو الموت، بل بالعكس ربّما يتعرّض المؤمنون لآلامٍ لا يتعرّض لها عادةً أهل العالم ومنها آلام الإضطهاد والتعذيب والقتل والشهادة في سبيل إيمانِهِم. فما هو وعدُ الربّ للمؤمنين في مزمور ٢٣؟

في إحدى حلقات درس الكتاب المقدّس في كنيسة القدّيس بولس الإنجيليّة الأسقفيّة في عمّان حيث أخدُم، وفي شهر شباط ٢٠٢٠ وقبل الإغلاقات بسبب فيروس كورونا والجائحة، كنّا ندرس بعض المزامير المختارة. وكان المزمور ٢٣ مِن ضِمن المزامير التي تطرّقْنا لِدراسَتِها. اِختارَ أحد الإخوة سؤالاً عن العدد الخامِس "تُرَتِّبُ قُدَّامِي مَائِدَةً تُجَاهَ مُضَايِقِيَّ. مَسَحْتَ بِالدُّهْنِ رَأْسِي. كَأْسِي رَيَّا "، أثار انتباهي عندما سأل،"لماذا يرتّب الربّ مائدة تجاه مضايقيّ؟ أليس بالأولى التخلّص مِن المضايقين والأعداء"؟

مزمور ٢٣ هو اختبار داود كاتب المزمور (بعض التفاسير تضع المزمور في مرحلة لاحقة لداود وتعتقد أنّ داود ليس بكاتبه) ويتكلّم عن صورتيْن للعناية الإلهيّة بالمؤمنين:

الصورة الأولى هي صورة الراعي الأمين (٢٣: ١ - ٤) الذي يقود خرافه ويَسدّد احتياجهم ويرعى نفوسهم ويجبر كسرهم ويصحّح مسارهم. الراعي يقود خرافه إلى المراعي الخضراء حيث الغذاء وإلى مياه الراحة والتعزية، ويترك التسعة والتسعين في البريّة ليذهب خلف الخروف الضال ليرجعه فرحًا (لوقا ١٥) ويسير أمام القطيع ليرشده (يوحنا١٠: ٤ - ٥) ويقودهم في وادي ظلّ الموت ويعبُر بهم إلى برّ الأمان، يسندهم بعكازه ويرجعهم إلى المسار الصحيح.

أرسل لي صديق مِن نيوزيلندا انطباعاتِه عن رعاة الأغنام في بلادِنا. الجميل في الرسالة أنّها وصلتْني وكنتُ أتابع دراستي هناك وكان صديقي هذا في رحلةٍ حجٍ إلى الأراضي المقدّسة، وكتب مشاهداتِه مِن منطقة بيت لحم وبيت ساحور حيث

يعتقد أنّ الرعاة في حدث الميلاد كانوا يحرسون أغنامَهم في تلك المنطقة، ولا زال هناك حقلٌ في بيت ساحور الفلسطينيّة يُسمّى "حقل الرعاة".

يقول صديقي " لقد فهمتُ النصوص الكتابيّة عن الراعي بشكلٍ أفضل عندما لاحظتُ تصرّف الرعاة في الأراضي المقدّسة مع أغنامِهِم، فهمتُ الطبيعة الوعرة والمخاطر واهتمام الراعي ومعرفتِه بأغنامِه وسمعتُه يناديها. وهذا كلّه بعكس الرعاة في نيوزيلندا (وهي بلد مراعٍ كبيرة) حيث يعتمد الرعاة على السهول الخصبة وكلاب مدرّبَة للّحاق بالأغنام وإرجاعِها وأصوات صفير معيّنة وأمور كثيرة تجعل الراعي لا يُقيم علاقة مع أغنامِه كما يفعل الراعي "في بلادِكُم" مع خرافِه".

والصورة الثانية هي صورة المُضيف الذي يُقبِل الدخيل عليه، فيوفّر له الحماية والضيافة رغم كلّ الظروف المحيطة به. وهذه الصورة هي الإجابة على ما طرحه أحد الإخوة عن موضوع بقاء المُضايقين بدل فنائهم.

حسب العادات العربيّة، البدويّة خصوصًا، يُعطى الحماية كلّ دخيلٍ على خيمة (أو بيت) المُسْتجار ويعتبر مستجير طالبًا الحماية والأمان. ويعتبَر لمس الخيمة والمناداة على صاحب الخيمة أو البيت قائلاً:"أنا دخيل عليك، مستجيرٌ بالله وفيك" وجواب صاحب البيت/الخيمة بالقبول هو عهد حماية يجعل صاحب الخيمة يستميت في حماية ضيفِه والدخيل عليه، وعادةً يطلب المستجير حماية شيخ العشيرة أو رئيس القبيلة الذي يسكن عادةً في أكبر الخيم أو البيوت. وكلمة الشيخ تجعل العشيرة جميعها ملتزمة بعهد الحماية والضيافة. وللعلم ليس مقبولاً أن يسأل المضيف ضيفَه لماذا جاء عليه دخيلاً قبل أن يتبرّع الدخيل بالكلام، ويحقّ للمضيف السؤال بعد ثلاثة أيّام وثلث (أي بعد فطور اليوم الرابع).

هكذا في المزمور ٢٣ نجد أنّ الله هو المُسْتَجار والمُضيف الذي نلجأ إليه وندخل إليه طالبين الحماية والرعاية. مِن واجبات المُسْتَجار أن يوفّر الحماية والضيافة لِضيفِه أمام المتربّصين به من أعداء. الأعداء فعليًا ينظرون إليه وينتظرون خروجَه مِن عباءة المُضيف لكنّهم لا يستطيعون طالما الدخيل في حماية المُضيف. ولِذا

تُعَدّ المائدة والطعام والشراب للضيْف بعد أن يرتاح ويستحمّ ويُدْهَن رأسُه بالزيت علامةً على التكريم ويملأ كأسَه علامةً على الضيافة الكاملة (لوقا ٧:٤٦ / جامعة ٩: ٧ و ٨) لِذا يقول المزمور " تُرَتِّبُ قُدَّامِي مَائِدَةً تُجَاهَ مُضَايِقِيَّ. مَسَحْتَ بِالدُّهْنِ رَأْسِي. كَأْسِي رَيَّا." (مز ٢٣: ٥) وبالتالي الإستغاثة بالله واللّجوء إليه هو ضمانة للحماية وتسديد الإحتياج وعهد باقٍ بين الله والمُلتجئ إليه، لأنّ في بيت الربّ حماية إلهيّة ورجاء للسكن في بيت الربّ في الحياة الأبديّة (يوحنّا ١٤: ١ - ٤ و رؤيا ٢١)

مزمور ٢٣ هو ترنيمة إستغاثة وإيمان وثقة بحماية الربّ الراعي الذي يَسدّد احتياجات خرافِه المؤمنين به. في هذا المزمور نختبِر رعاية الله وعنايته، كما نختبر حمايتَه وضيافتَه ومحبّتَه رغم وجود الألم والمُضايقين والأعداء. في الكتاب المقدّس لا يوجد وعد أنّ المؤمِن لا يتألّم، الوعد هو "الربّ راعيّ ... أنت معي .... تردُّ نفسي .... تُعزّيني ... ترتّب مائدةً أماي .... خيرٌ ورحمة يتبعانِني ... إلخ

في مزمور ٢٣ الوعد أن نختبر حضور الله وحمايته رغم الوباء والمرض والموت، لأنّنا أبناء الله وبناتِه، وفي حمايتِه وضيافتِه. وباللّجوء إلى الله نتقوّى ونتعزّى ونُشْفى ونتبارَك ونشعر بحاجتنا إلى التوبة والتطهير من خطايانا والرجوع عن طرقِنا الرديّة. في الألم ومواجهة الخطر والمرض نتذكّر أنّنا تراب وإلى تراب (هدف فصل الصوم) نعود وأنّنا بحاجة إلى نعمة الله وغفرانه وخلاصِه، وأنّ لا حياة حاضرة أو مستقبليّة إلاّ باللّجوء إلى الربّ والحياة معه ولأجلِه.

المسيح يلهث من أجلك

القس يعقوب صباغ

قراءة التأمل متى ١٤: ٢٢- ٣٣

كتب أحد علماء اللاهوت كتاباً بعنوان: "إن كنت تريد السير على الماء، فعليك الخروج من القارب." وفحوى الكتاب أننا بحاجة إلى شجاعة بطرس في حياة الإيمان، وبحاجة إلى التركيز على شخص يسوع المسيح، بغض النظر عن نوائب الدهر التي تلطم وجهنا كموج البحر. الذي يريد أن يعطي حياته ليسوع ليكون ملحاً ونوراً عليه الثقة بأن يسوع حاضر لخلاصه، مثلما كان يسوع لبطرس، وبالتالي الخروج من القارب.

نستطيع أن ننظر إلى نص التأمل من هذه الزاوية، ننظر إلى زاوية بطرس الشجاع. نستطيع أن نقول أن النص يركز على مشي بطرس على الماء لأننا لا نقرأ كل يوم عن رجل مشى على الماء. لكن هناك زاوية أخرى: يصور متّى هذا الحدثَ الفريد والأول من نوعه بطريقة تدعونا لنبحث أكثر في معنى الكلمة لنرى ونتعلم درساً آخر غير شجاعة الإنسان. أن نتعلم درساً آخر عن قصة الرب معنا...هذه القصة التي تقول إن اعتمادنا في نهج حياتنا منوط بنعمة الله وليس بإيمان الإنسان الذي قد يتغير وينتقل. أعتقد أن متّى مهتم أكثر بالحديث عن نعمة الله الخلاصية المصورة في ذراعي الرب الممدودة التي تستطيع أن تنتشل المؤمن من الغرق.

تبدأ القصة بانتهاء معجزة إكثار الخبز والسمك، وصرف يسوع للجموع والتلاميذ أيضاً إلى البحر، ليصعد إلى الجبل ويصلي. فكان يصلي ويصلي منذ أن صرف الجموع في المساء وإلى حلول الليل، إلى الهزيع الرابع. أما التلاميذ في كل هذا الوقت كانوا منهمكين في النجاة من الموت غرقاً. وهنا يكمن السؤال: كيف انتقل يسوع فجأة من الجبل إلى خضم البحر بهذه السرعة؟ نعمة الرب ومحبته تعكس لنا وكأن يسوع نزل راكضاً ليصل إلى التلاميذ لاهثاً ليقول: " تَشَجَّعُوا! أَنَا هُوَ. لاَ تَخَافُوا".

قال الكاتب واللاهوتي (C.S. Lewis): "يملك كل مسيحي أفضلية تميزه عن غيره من الناس: ليس أنه أقل سقوطاً من الناس، وليس أنه أقل سقوطاً من الخليقة التي سقطت، بل أنه عارف أنه سقط في وسط خليقة سقطت"

ما أحوجنا لأن نرى لهاث المسيح من أجل من سقط، وليس أننا نحن من يلهث من أجل التعلق به. ما أحوجنا للثقة به والتمسك به والتعلق بذراعيه وإسناد رؤوسنا على صدره الغارق بالعرق والدم من أجلنا والقول "بِالْحَقِيقَةِ أَنْتَ ابْنُ اللهِ"...المخلص.

ثبات الإيمان وسط الضيقات

الأخ يوسف خاشو*

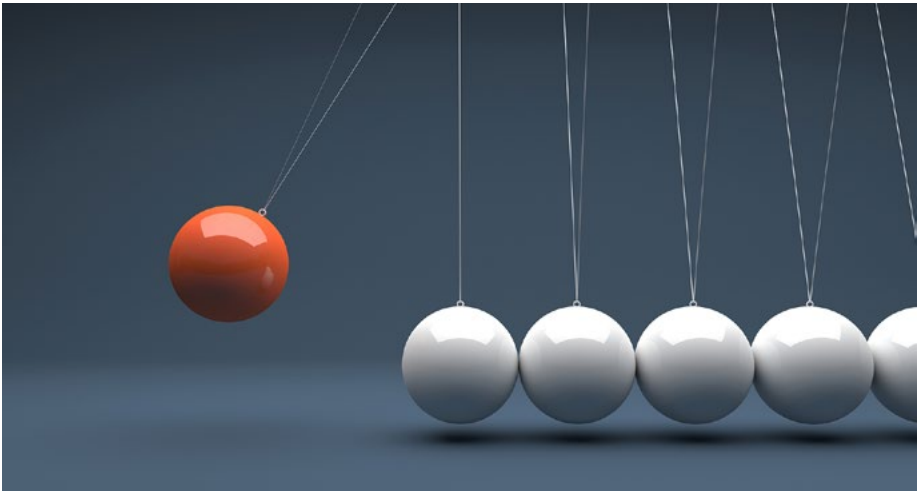

انجيل متى ٢١: ٢٣-٣٢

لا يخفى على أحدٍ منّا حجم الضغوطات والآلام التي يمر بها العالم بالعموم وشرقُنا الحبيب بالخصوص. ووسط التحديات الاقتصادية والصحية وغيرها نجد أنفسنا نسألُ الكثير من الأسئلة عن إيماننا في وسط الضيق. إنّ الرب يسوع المسيح يُخبرنا عن سلامه الذي يفوقُ كل عقل في شهادات الانجيل، ولكنّنا نتجه اليوم تلقائيًّ لنتأمل بمفهوم سلامنا من قلب الاضطرابات. فأين هو سلامنا ونحن مازلنا نعاني من الحروب وويلاتها وآثارها الاقتصادية، وفوق هذا نعاني أيضًا من جائحة الفيروس

* خادم ديني في الكنيسة الإنجيلية الوطنية في دمشق ومركز جرمانا

التاجي والخوف المستمر من هذه الجائحة؟ وإذا ما فتشنا بالعمق - وكلٌّ واحدٍ منّا في ذاته - هل مازال سلامنا الداخلي ثابتًا ومستقرًا أم أنه قد تقهقر أو حتى تلاشى وسط هذه الضيقات؟

في الحقيقة أيّها الأحبّاء لسنا الوحيدين عبرَ التاريخ الذين عانوا من الضيقات والضغوطات الحادة لذلك دعونا نحمل تساؤلاتنا ونتأمل في نص الانجيل ونحن ندرسه في ثلاثةِ مستويات زمنيّة. المستوى الزمني الأول تدور أحداثه في ثلاثينيات القرن الأول الميلادي عندما قابل الرب يسوع رؤساء الكهنة في الهيكل. والمستوى الزمني الثاني هو في ثمانينيات القرن الأول الميلادي عندما كُتب لأول مرة انجيل متى تقديريًّا، وفي هذا المُستوى الزمني قد قُرِأ الانجيل لأول مرة من قِبَل جماعةِ إيمانٍ لها ظروفها وصفاتها. وأما المستوى الزمني الثالث فهو عامُنا الحالي عامُ ألفين وواحد وعشرين لنقابل فيه حالة ودعوة كنيسة الرب.

بدايةً إن الضيقات والتحديات كانت دائمًا موجودة أمامَ شخصيات الكتاب المُقدس. والرب يسوع المسيح قد واجه هذه التحديات أيضاً. ففي المستوى الأول من تأملنا لليوم نرى رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب قد استشاطوا غضبًا من الرب يسوع المسيح خصوصاً بعد دخوله الملوكي إلى مدينة أورشليم وصراخ الأولاد له في الهيكل قائلين: "أوصنا لابن داوود" بحسب الانجيل. وأما وجود يسوع في الهيكل تحديدًا يشكّلُ تحديًّا مباشرًا لمنظومة رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب مما اقتادهم تلقائيًا للتقدم إليه ليقاطعوا تعليمه ويحاججوهُ ويضغطوا عليه. لقد حاولت هذه الفئة الدينية أن تتحدى وتُضايق الرب يسوع وتقوّض من سلطانه ومرجعية هذا السلطان. ونعلمُ جميعًا كيف تتسارع الأحداث لاحقاً لنرى سعي هذه الفئة للتخلص من الرب يسوع.

وإذا ما انتقلنا إلى المستوى الثاني في ثمانينيات القرن الأول فإنّنا سنرى أن حالة الجماعات المؤمنة بالمسيح لم تكن أكثر سلامًا واستقرارًا من حال ربها ومعلمها. يُحاول علماء العهد الجديد دراسة الموارد المتوفرة واستنتاج خصائص وظروف جماعة الإيمان التي قد كتبَ لها كاتبُ انجيل متى بالدرجة الأولى مُقادًا

بالرّوحِ القدس. ومن خلال هذه الدراسات نعلمُ أن جماعة الإيمان هذه قد تزامن وجودها مع قرارٍ خطيرٍ قد اتخذه قادة اليهود وقتها، وذلك عندما أقاموا مجمع جمانيا اليهودي، واتخذوا قرارًا فيه بعنوان (تحريم شيعة الناصريين). ومن محتويات هذا القرار أن يتمّ التحريم لليهود من أن يتعاملوا مع المسيحيين، أو أن يقبلوهم في مجامعهم بعد أن كان المسيحيون الأوائل قد اعتادوا على الصلاة في الهيكل في أورشليم أو في المجامع خارجها. إن جماعة الإيمان التي قد خاطبها متى في انجيله قد واجهت ما واجهه الرب يسوع قبل عدة سنوات. فكما قد واجه المسيح التحدي في الهيكل من قبل قادة اليهود، كذلك قد واجهت جماعة الإيمان ذات التحديات في المجامع اليهودية. لقد رزحت هذه الجماعة تحت نير الضغوطات والضيقات فهي لأول مرة من دون مكان عبادة، ومرفوضة من اليهود، ومُستهجَنة من الوثنيين، وغير مُعرّفة أمام الحُكام الرومان.

وأما في المستوى الزمني الثالث والموافق ليومنا هذا فإن الصعوبات والضيقات تأخذ أشكالاً مختلفةً، ولكنها لا تنفكُ ضاغطةً على جماعة الإيمان. فكم من المرات أعاقتنا جائحة الفيروس التاجي عن الاجتماع في شركة العبادة، ولا يزال ظلها يخيّم على عائلاتنا في كل مكان. وكم من المرات تكاثرت هموم الحياة علينا بضيقاتها المادية وسط شحّ الموارد الأساسية ونُضبها. إنّ كلّ هذه الصعوبات اليوم تتحدّانا جميعنا في استمرار حياتنا وثبات إيماننا.

فما هو الحل لمواجهة كل هذه الضيقات؟ وكيف نقابلها نحن جماعة الإيمان؟

أيّها الأحبّاء إنّنا مدعوون أن نثبُت من قلب تيارات العالم ولججه المتدافعة. فدعوتنا هي أن نثبت في الإيمان. ففي كل مستوى زمنيّ من هذه المستويات التي تحققنا منها نرى أن الثبات بالإيمان هو القوة لمواجهة الصعوبات والاضطرابات.

حيثُ نرى في المستوى الزمني الأول أن المسيح قد واجه ضغوطات رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب بثباته بإيمانه. كان المسيح ثابتاً بإيمانه في ذاته وبرسالته وبالآب الذي أرسله، وذلك قد تَتَرجمَ في عدم خوفه من هذه الضيقات المُتهافتة

عليه. علاوةً على ذلك نرى أن يسوع قد تحدى هذه الفئة المُضايِقة وأسئلتها بسؤالٍ يضعهم فيه على المِحك عندما سألهم قائلاً: "أن معمودية يوحنا من أين كانت. من السماء أم من الناس". وكذلك نرى ثبات المسيح في عدم تراجعه عن موقفه في النقاش والسؤال بل بالحري هو قد أعطاهم مثلاً عن الأب وابنيهِ لكي يُبين لهم رغبة وإرادة الآب الحقّة المُعلنة من خلاله والمُثبّتة بحسب شرحه في المثل.

وكذلك الأمر في المرحلة الزمنية الثانية إذ نرى أن كاتب انجيل متى قد ركزَّ على قصصٍ مشجعةٍ للإيمان يقوي فيها جماعة الإيمان التي قد كتبَ إليها تحت معاناتها من الضيق والطرد من المجامع. وفي هذا السياق يُخبرنا الانجيليّ في سرده لإنجيل متى كيف أن المسيح قد تكلم في مثله عن ابنين لأبٍ يملكُ كرمًا. رفض الابن الأول الاستجابة بالذهاب للعمل في الكرم، ولكنّه لاحقًا ذهب وحقق مشيئة أبيه، وأما الابن الثاني فقد قال أنه سيذهب للكرم، ولكنه لم يُحقق ذلك. ومن خلال هذا المثل وشرح المسيح له أيضاً نُلاحظ وجود فئتين فيه. الفئة الأولى تتمثل بالعشارين والزواني الذين كانوا مرفوضين ومُستنكَرين من المجتمع، وهذه الفئة هي السبّاقة إلى الملكوت وتحقيقه، والصانعة بالإيمان إرادة الأب في المثل. أما الفئة الثانية فهي متمثلة برؤساء الكهنة وشيوخ الشعب، وهم المُنتفخون بحكمتهم وبرّهم الذاتي، والمُعتمدون على أنفسهم في محاكمة الأمور وتبعاتها. وهؤلاء نراهم يلجأون للتفكير باحتمالات الإجابة على سؤال المسيح لهم معتمدين على ذكائهم وفطنتهم فحسب عوضاً عن إيمانهم بشخصه. وذلك يتضحُ عندما فكروا بأجوبة للسؤال حول معمودية يوحنا المعمدان. إن الانجيلي وفي نقله لهذه الحادثة وحواراتها يسعى لطمأنة جماعة الإيمان المضطربة. فكان الخبرُ السار لتلك الجماعة المؤمنة أنه وإن كان هناك صعوبات قادمة من أُناسٍ مثل رؤوساء الكهنة وشيوخ الشعب فإن الفئة المُزكّاة من الله هي فئة المؤمنين والمؤمنات الذين يثبتون في إيمانهم. إذ قال يسوع في المقطع لهؤلاء المُضايِقين: "لأَنَّ يُوحَنَّا جَاءَكُمْ فِي طَرِيقِ الْحَقِّ فَلَمْ تُؤْمِنُوا بِهِ، وَأَمَّا الْعَشَّارُونَ وَالزَّوَانِي فَآمَنُوا بِهِ". وهذا

ينسجم مع المقطع السابق مباشرةً لمقطعنا، والذي يقول فيه يسوع أنّه إن كان هناك إيمانٌ عندنا فإننا نقول للجبل انتقل وانطرح في البحر فيكون.

وأما في المستوى الزمني الثالث الذي يُمثل واقعنا اليوم فإننا أيضًا مدعوون لمواجهة كلّ الضيقات والصعوبات بالثبات بالإيمان. على هذا الأساس ومنذ القِدم واجه داوود الملك عندما كان صغيرًا ذاك المُقاتل الشرس جوليات الجبّار الذي كان يُمثّل أحد أقسى وأشدّ الضيقات وأصعبها على الشعب. ولكن وبثبات داوود في إيمانه تقدّم هذا الصغير قائلاً في وجه جوليات: "«أَنْتَ تَأْتِي إِلَيَّ بِسَيْفٍ وَبِرُمْحٍ وَبِتُرْسٍ، وَأَنَا آتِي إِلَيْكَ بِاسْمِ رَبِّ الْجُنُودِ إِلهِ صُفُوفِ إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ عَيَّرْتَهُمْ. "

وعلى هذا الأساس أيضاً قد علِمَ واختبر كاتب رسالة بطرس الأولى تلك الضعوطات الجمّة الحاصلة والمُقبلة على كنيسة المسيح. فيصفُ الكاتبُ تلك الضغوطات بالحيوان المُفترس الذي سينقضُّ على الفريسة. لذلك نراهُ في الرسالة مُشجّعًا وحاضًّا الكنيسة على مواجهة هذه التحديات بالثبات بالإيمان أيضًا. إذ قال: " فَقَاوِمُوهُ، رَاسِخِينَ فِي الإِيمَانِ، ".

وعلى ذات المبدأ واجه عالم اللاهوت الانجيليّ (كارل بارت) تحديات ومُضايقات المُلحدين وآثار كتاباتهم من الفلاسفة وغيرهم في مطلع القرن العشرين. واصطدم مع قول الفيلسوف والعالم (ديكارت) في العبارة الشهيرة القائلة: "أنا أُفكرُ إذاً أنا موجود". واجه (بارت) هذا التحدي الفلسفي الزخم بقوله: "أنا أؤمن" كأساس ومعنى للوجود. وهذا ما نردده مع (بارت) منذ مئات السنين. إذ نقولُ كأفراد في مطلع قانون إيمان الرسل: "أنا أؤمن بالله". كما نقول في مطلع قانون الإيمان النيقاوي القسطنطيني: "نحنُ نؤمن بإلهٍ واحدٍ".

وهذا الثبات بالإيمان وسط الضيقات يجب أن يتفعّل في حياتنا اليومية بأن يكون إيماننا إيمانًا حيًا وفاعلاً فينا ومن خلالنا حتّى في ساعات الغمّ واليأس. وفي هذا السياق تحكي قصة حدثّتْ في خدمة جنازة أحد شيوخ كنائسنا الأفاضل. أنه في تلك الجنازة كان ابنُ هذا الشيخ مقيمًا في بلاد الإغتراب، ولا مجال لحضوره

في هذه الخدمة. فأرسل هذا الابن رسالةَ تعزيةٍ للعائلة والكنيسة، وشاركَ فيها موقفه تجاه والده الراقد في الرب. ومن شدّة ثباته في احترامه وتقديره لوالده، قال في الرسالة التالي: "إنك يا والدي العزيز سترافقني دائمًا، وستكونُ حاضرًافي كلّ قراراتي".

لم يَقل هذا الابن أن والده سيكونُ حاضراً في ذهنه وقلبه فحسب، بل قال أن هذا الوالد سيكونُ حاضراً في قراراته أيضًا. فكم بالحري لنا عند الحديث عن الثبات بالإيمان ألا نعامل إيماننا كأنّه شيءٌ منفصلٌ عن حياتنا اليومية وسط صعوباتها، بل بالحري دعوتنا أن يكون إيماننا حاضرًا كلّ يومٍ معنا وفي قراراتنا ليكون معيارًا لأخلاقياتنا ومواقفنا حتى من قلب معاناتنا. عندها وفقط عندها يكتملُ عنوان هذا التأمل ليكون الخبر السار لنا أنه بالثبات بالإيمان وسط الضيقات ننال السلام القلبي والداخلي.

نعم أيّها الأحبّاء، عندما نُقابل كل تفاصيل يومنا العصيبة - وهي كثيرةٌ - بعين الإيمان فإن ذلك قد لا يُنجينا من هذه التفاصيل، ولكنّنا سنكون في سلامٍ حقيقي أساسه الإيمان بالله. هذا السلام مبنيٌ على صخر الدهور ربنا يسوع المسيح، ولا تستطيع تحديات هذا العالم أن تنزع سلامنا المبني على الإيمان الراسخ. وهذا ما اعتدنا أن نردّده بثقة في كلمات الترنيمة قائلين: "إن تطمُ حولي النائبات كاللج وسط البحر/ يَدم سلامي في ثبات أساسه في الصخر". ليت الله يثبّت فينا هذا الإيمان في كل الأحوال لنكون في سلامٍ مستقر ويفوق كل عقل في المسيح يسوع ربنا.

و لله المجد والإكرام

على الدوام

آمين

٢

مقالات من المكتب

- إلى متى تنساني؟
- فَمَتى أمسَتْ رَحَى البَلْوى تدَور...

إلى متى تنساني؟

الأخ حسان ديرعطاني*

(إِلَى مَتَى يَارَبُّ تَنْسَانِي كُلَّ ٱلنِّسْيَانِ؟ إِلَى مَتَى تَحْجُبُ وَجْهَكَ عَنِّي؟ إِلَى مَتَى أَجْعَلُ هُمُومًا فِي نَفْسِي وَحُزْنًا فِي قَلْبِي كُلَّ يَوْمٍ؟)

بهذه الكلمات، التي كانت ذات يومٍ ثوريّةً، يختصر كاتب المزمور ١٣ التساؤلات الايمانية التي تواجهنا اليوم، كيف لا ونحن نتساءل بتذمّر أين انت يارب؟ أين انت ياالله من جميع التحديات الاجتماعية والاقتصادية التي تحيط بنا؟ لماذا تسمح بهذا الألم؟ ولماذا هذا الظلم الجماعي الذي نختبره يوميًّا؟

لربما كانت التساؤلات عن الألم وكيفية مقاربته قديمةً قِدَمَ وجود الانسان نفسه، ولطالما حاولت الانسانية إيجاد الأجوبة عن معضلة الألم. الكنيسة عبر تاريخها لم

*خادم ديني في الكنيسة الإنجيلية الوطنية في حلب

تنْأَ عن هذا الصراع اللاهوتي والفكري، كيف لا ونحن نؤمن بإله المحبة، إله لا يترك خليقته بل يعطيها المعنى، مُترجّين خلاصًا ذا طابع إلهي، في ومن، هذا التاريخ إلى ان يملك الله على الكلّ وفي الكلّ.

يشهد تاريخ الكنيسة لمحاولات لاهوتيّة مقاربة الألم الإنساني بجانبيه العام والخاص المتعلّق بالمؤمنين. كيف نستطيع أن نقارب كلّاً من محبة الله وسلطانه مع ما تختبره الخليقة من ألم وويلات عبر التاريخ؟ بالحقيقية هناك عدة إجابات وطروحات لكيفية مقاربة معضلة الألم ولست بصدد نقاشها في هذا التأمل.

أريد اليوم أن انطلق من حقيقة عمليّة وبسيطة يعرفها الجميع، وهي ان الألم جزء لا يتجزأ من الوجود الانساني. بعيدًا عن جدليّة أصل الألم وفيما إذا كان شرًّا مطلقًا أم لا، يُعتبر الألم سمة من سمات حركة الخليقة بدرجات متفاوتة. بالرغم من أنّنا قد نحصل على بضعة أجوبة وتفسيرات لشكل من أشكال الألم هنا او هناك، لكنها برأيي تبقى وقتية مؤقتة لا ترقى لمستوى الاجابة عن كافة خصوصيات الألم في كل زمان ومكان. ما قد يلبّي فضول الانسان في مرحلة زمنية قد يعجز عن ذلك في مرحلة لاحقة.

الألم حقيقة عمليّة تختبرها الخليقة باستمرار، وعليه فإن للألم بُعدًا وجوديًّا لا يمكن للانسان إنكاره أو حتى سبر أغواره واستيعابه بثقة. قد نستطيع التأمل بالألم وإطلاق العنان لأنفسنا للتعبير عن اختباراتنا معه من خلال الأدب والشعر والرسم وحتى بالصلاة.

لاهوتنا المسيحي، في هذا الإطار، يتميّز بواقعية مقاربته لمسألة الألم في الخليقة من خلال رحلة الصليب. فطالما أن الرب يسوع اختبر ألم الخليقة في حياته الأرضية، ليس علينا أن نفهم الايمان كلقاح ضد الألم. بهذا المعنى لايهم ان كنت مؤمنًا او غير مؤمنٍ، فالجميع معرضون في الحياة لاختبار شكل من أشكال الألم (مرض- خسارات- موت...). ايماننا لا يعني اننا لن نشارك الخليقة مخاضها، بل أننا كمؤمنين مدعوون ان نستجيب بطريقة مختلفة.

مشكلتنا مع الألم تبدأ من افتراضاتنا الفكرية، من منطلقاتنا وتوقعاتنا عن الحياة والألم. كل انسان يكوّن مفاهيمه الخاصة في الحياة بحسب تجاربه ومعتقداته التي يكتسب بعضها ويطوّر بعضها الآخر. ولكن عندما يُباغتنا الألم فإنه لا يأبه بمسلّماتنا المنطقية. الألم يغيّر فينا دون أن ندرك. الانسان بعد الألم ليس كما قبله، الشعوب والمجتمعات بعد الألم ليست كما قبله. من هنا أعتقد بأن الألم يغيّرنا قبل أن يُعلّمنا.

نُخطئ الاعتقاد عندما نغالي بعقلانيتنا. صحيح ان الانسان كائن عقلاني وذو ارادة، لكنّه أيضًا وبدرجة لا يجب الاستهانة بها، كائن العاطفة والغرائز. تحضُرني في هذا السياق القاعدة التسويقية التي تقول: الانسان يشتري بالعاطفة ويبرر بالمنطق!

الألم يغيّرنا قبل ان يعلّمنا، يحاكي عمق انسانيتنا قبل أن يستأذن منطقنا. الألم يحاكي انساننا الداخلي، متوجهًا لعواطفه ومكنوناته، مبعثرًا خلفه مسلّماتنا ومفاهيمنا السابقة، التي لطالما جعلنا منها ملاذ راحة وأمان. الألم يغيّرنا ثم يتركنا في رحلة بحث عن أجوبة وجوديّة وايمانية جديدة، بعد أن يثبت لنا هزالة أكواخنا الفكرية التي اعتدنا الاحتماء في داخلها. مشكلتنا اليوم ليست فقط في كثرة التحديات الاجتماعية والاقتصادية بقدر ماهي في سرعة تواترها التي لم تفسح المجال امامنا ان نمضي في رحلة استيعاب وبحث جديدة نحو بداية جديدة.

لا يُخفى على أحد أن الضبابية والانتظار يخيّمان على واقع منطقتنا اليوم. فهل الحل أن ننتظر كما ينتظر الكثيرون خلاصًا بالمعنى التقليدي الذي ينطوي على خروج ما؟ خروج من أرض الهموم والأزمات المعيشية إلى أرض بعيدة أرحب! أو هل يلبّي الاحتجاج على الله بكلمات المزمور اعلاه تطلعاتنا نحو الخلاص؟

باعتقادي ليس ثَمّة حل اليوم يمكن ان يروي الظمأ الانساني نحو المعنى سوى علاقة روحية حية مع الله. تحدياتنا الحالية على تنوعها ليست بالجديدة نسبيًّا. يمكن للعودة إلى التاريخ ان تساعدنا في ادراك ان جائحة الكوفيد ١٩ لم

تكن أولى الجائحات ولن تكون الأخيرة. ليست الحروب والصراعات البشرية جديدة العهد وإن تتبدّى اليوم بأقبح أشكالها. التاريخ يشهد على ديمومة التغيير التي لا تخلو من الألم.

إن كنا نَنشُد سلاما وسط العاصفة، ان كنا نبحث عن المعنى لحياتنا وسط الفوضى والانهيار، فهناك أمل! أمل ليس في الشرق ولا في الغرب، ليس هو هَهُنا او هُنَاك، بل إنه في جوهر ايماننا المسيحي! قد ننسى، في ظل قلقنا وهمومنا اليومية، حقيقة ان ايماننا المسيحي هو ايمان الرجاء، ايمان يرجو حتى أمام النهايات البشرية. ايماننا ايمان يرجو ليس لأنه يملك أفضل الأجوبة والحُجج التي تلبي فضول الانسان، بل لأنه يثق بمحبة ونعمة الله كما اختبرناها في المسيح يسوع.

في مَعرض حديثه الأخير مع التلاميذ، عَرّف الرب يسوع عن ذاته بأنّه "الطريق والحق والحياة" (يوحنا ١٤: ٦). أمام حيرة وتساؤلات التلاميذ القلقين، ما كان من المسيح إلّا أن أكّد لهم أنّه هو الطريق. لم يقدّم الرب يسوع للتلاميذ نوع الاجابات الذي كانوا يتوقعونها عند سؤالهم عن الطريق (بالمعنى الجغرافي). عمليًّا اجابة

المسيح هي دعوة للثبات في المسيح. هذه الدعوة التي تتكرر لاحقًا بوضوح في اعلان المسيح عن ذاته بوصفه الكرمة الحقيقية التي تعطي الحياة والاستمرارية للكنيسة.

الايمان ليس محرّك بحث ديني نقلّب صفحاتَه بحثًا عن اجابات نبني على أساس منطقيّتها علاقتنا بالله. الإيمان يقوم على بعض المعرفة وكثير من الثقة. لذلك يؤكد المسيح لكنيسته اليوم كما الأمس انه هو "الطريق والحق والحياة". الرب يسوع هو الطريق الى علاقة حيّة مع الله تتمركز حول مجد الله. هو الحق والاعلان الحقيقي عن الله وجوهره. هو الحياة بتطلعاتها الجديدة ومفاعيلها الابدية كما لم نعرفها من قبل. لم يعط المسيح سلسلة من الاجابات التفصيلية للتلاميذ في ساعاته الأخيرة معهم، لكنّه دعاهم، بإعلانه ذاك، الى الثبات بعلاقة حية مع الله في وسط العاصفة.

قد لا نجد في إيماننا المسيحي جميع الأجوبة والشروحات عن سبب الألم بكل وقت وزمان، لكن لايمكن لإيماننا سوى ان يكون ايمان الرجاء والأمل رغم كل شيء. ايماننا المسيحي يقوم بأساسه على الثقة باله المحبة قبل أي اجابات منطقية. الله كما شهدناه في المسيح هو إله قريب، إله يدعونا من قلب العاصفة ومن قلب الألم ان نمضي في رحلة الايمان والثقة بالله، وذلك بما لدينا الآن من "بعض المعرفة" (بحسب توصيف الرسول بولس). دعوتنا ونحن نواجه الألم الحالي، الّا نفقد الرجاء، بل أن نتجذّر بعمق في حياة الايمان التي تعطي مجدًّا لله.

اختبار الله - الوحي

هل فكَّرت بكيفيَّة معرفتك بوجود الله في حياتِك وإن كان الله جزءًا منها؟

١. الوحي العام:

تنعكس طبيعة الله من خلال النظام الأساسيّ للكون وأنماطه، وفي خليقته، وفي أحداث التاريخ، حيث تُظهر جميعها أعمال الله. إضافةً إلى ذلك، يتوق البشر بشكلٍ فطريّ إلى معرفة الله والقدرة على تقدير أنَّ هناك أكثر ممّا نراه أو نقيسه في هذه الحياة. ومن خلال سعي البشر لمعرفة الله، كثيرون يرونه، وكما عبَّر القديس أوغسطين: «أنت (الله) تُعطينا البهجة عندما نُسبِّحك، لأنَّك كوَّنتنا لنفسك، ولن تهدأ قلوبنا حتى تجد الراحة فيك.» (اعترافات، كتاب ١). وبالمثل، قال الرسول بولس متحدِّثًا إلى الأثينيّين: «صنع من دم واحد كلّ أمة من الناس، يسكنون على كلّ وجه الأرض... لكي يطلبوا الله لعلّهم يلتمسونه فيجدونه، مع أنه عن كل واحد منا ليس بعيدًا، لأنَّنا به نحيا ونتحرَّك ونوجد...» (أعمال ١٧: ٢٦ – ٢٨)

٢. الوحي الخاصّ:

نحن أيضًا نتعرَّف على الله من خلال قصَّة الكتاب المقدَّس التي تصف رغبة الله بأن يُحبَّنا ويتواصل معنا بطرق محدَّدة. اختار الله شعبًا خاصًا ليكشفوا عن شريعته. وجاء الله في يسوع المسيح وفي الروح القدس ليُظهر لنا الطريق إليه. اختارَ الله العمل من خلال الكنيسة، على الرغم من عيوبها، للكشف عن محبّة الله ومقاصده للعالم. ويُعلن الكتاب المقدَّس أنَّ كشف الله عن نفسه لم ينتهِ بعد، ونحن نتوقَّع إعلان كمال ملكوته في الأيام الأخيرة.

هناك فرق بين معرفة الله بشكلٍ عام أو معرفته شخصيًّا. كثير من الناس راضون بمعرفة الله بشكلٍ عام، ولكن عندما يكشف الله عن نفسه، حينئذٍ نختبر طبيعة الله الحقيقيَّة وأعماله. فكِّر في إيمانك الشخصيّ. ماذا تعرف عن الله عندما يكشف عن نفسه من خلال الإعلان العام وعندما يكشف عن نفسه من خلال الإعلان الخاص؟

فَمَتى أمسَتْ رَحَى البَلْوى تدَور ...

القس أديب عوض*

إِنْ جَرَيْتَ مَعَ الْمُشَاةِ فَأَتْعَبُوكَ، فَكَيْفَ تُبَارِي الْخَيْلَ؟ وَإِنْ كُنْتَ مُنْبَطِحاً فِي أَرْضِ السَّلَامِ، فَكَيْفَ تَعْمَلُ فِي كِبْرِيَاءِ الْأُرْدُنِّ؟ (إرميا ١٢: ٥)

حَسْبُكم إنسانٌ مسيحي يتأمّل بِحِيرة وذهول في ارتباكات الحياة وقسوتِها، فينفجر غضباً في وجه الله: "ليس من العدل ... أين العدل في هذه الحياة؟" ينظر في وجه الله عابساً، ويكاد يصرخ "أين محبّتُك، وأين عدلُك؟"؛ لكنه لا يفعل. يشعر بقشعريرة باردة في قلبه، ثمّ تسري في كل أنحاء جسمه. يسأل نفسه، ما الداعي إلى تذمّري وغضبي! ما أعانيه يعانيه معظم البشر؛ ما أشكو منه

* رئيس سابق لتحرير النشرة، المُدّة: ٢٠٠٨-٢٠١٧

يشكو منه معظم البشر. هل ستحطّم هذه نفسي، وتزعزع إيماني، وتخرّب علاقتي بإلهي؟؟

يا إنسان؛ إذا اختنقتَ في المياه الضحلة، فكيف تنجو عندما تنفجر ضفاف الأردن، وتثور مياهُه، وتتدفّق كالشلال العاتي؟! لنفرض أنك، كما حدث لِأيوب، تفيق فجأة على مصيبة كبيرة، كأن تفقد رصيدك - جنى عمرك، وترى نفسَك في خضمِّ جائحة تأكل الأخضرَ واليابس؛ هل ستثبتُ كما ثبتَ وتقول، الربُّ أعطى والرب أخذ، فليكن اسمُ الربّ مباركاً؟ لنفرض أنْ جاءك إخطارٌ كئيب كذاك الذي جاء إلى النبي المِقدام حزقيال، "يَا ابْنَ آدَمَ، هأَنَذَا آخُذُ عَنْكَ شَهْوَةَ عَيْنَيْكَ بِضَرْبَةٍ، فَلاَ تَنُحْ وَلاَ تَبْكِ وَلاَ تَنْزِلْ دُمُوعُكَ" (٢٤: ١٦). لنفرض أنّه اتّضح لك، كما اتّضح للشاب يسوع، أنّ الحياة لا تعطيك كلَّ ما تتوقّعه منها، وأنّ أحلامَك لن تتحقّق، وأنّ دربك سيكون موحِشاً وشاقّاً، وبأنك مُطالَبٌ بتضحياتٍ كبيرة موجِعة. من الطبيعي جداً أن تكون قد مررت، أو ستمرّ، بظروف كهذه. في أغلب الأحيان تأتي من حيث لا ندري ولا نتوقّع.

سنةً بعد سنة عايشْنا - أنت وأنا - أيّاماً حلوة وذكرياتٍ غضّة؛ كانت شائعاتُ الرعب تهبُّ صوبَنا خافتةً كأن من مكانٍ بعيدٍ بعيد، فخِلْنا أنفسَنا بمنأى عنها وحصينين منها. فجأةً ... لم تعد شائعاتٍ، لم تعد مجرّد أخبار؛ صارت الشائعة حقيقة، وطمت فوقنا الويلات ... تبخّر جنى العمر، وعصفت بنا الفاقة، وضعضع الموتُ بأسانا. اختفى التباكي، وفرَّ النشيج، فقد لفحتنا المصيبةُ كلَّنا، وتذاكرنا قول المتنبي:

رماني الدهرُ بالأرزاءِ حتّى ... فؤادي في غشاءٍ من نِبالِ
فصرْتُ إذا أصابتني سِهامٌ ... تكسّرتِ النِّصالُ على النِّصالِ
وهانَ فما أُبالي بالرزايا ... لأنّي ما انتفعْتُ بأن أبالي

هل ينفع الندم على عدم "تأمين" المنزل عندما تأكل النيرانُ المنزلَ بكامله، وتحوّل المقتنيات المتوارثة والتذكارات والكتب والنفائس والصور واللوحات وهدايا العمر الجميل إلى هَباء منثورٍ في طرفة عين!؟! وأنّى لنا - أنا وأنت المتبرّمين اللوّامين عند أتفه الهموم - أن ننهضَ في جرود الأردنّ والقرُّ يحبس أنفاسَنا والدم ينزف من ثُلُمِ أقدامنا!؟!

نعم، قال غُوتِه إن كل الديانات صُمِّمت لتُعينَنا على تحمُّل ما لا يُحتمَل، لمواجهة المستحيل، لنعبرَ أيامَنا بالحدّ الأدنى من الكرامة.

المشكلة التي لم يفطن لها غوتِه هي أنّ ديانة السواد الأعظم من الناس ترتبط بالمزاجات؛ قليل من المطر فيتهاوى كلُّ شيء؛ لحظة توتّر فيصاب الإيمان بالشلل. هكذا هي ديانةُ كثيرين من "المؤمنين". طالما تسير إرادةُ الله متوازية مع إرادتنا فنحن من أهل الإيمان المغبوطين. لكن، لو تقاطعت الإرادتان، أو تضاربتا، تصدّع الإيمان وتلاشى. هل تذكرون القصّة التي رواها ربُّنا عن الرجلين اللذين عاشا في القرية ذاتِها، وتردّدا إلى الكنيسة ذاتِها، وجلسا على المقعد ذاتِه، واشتركا في العبادة ذاتِها، وسمعا العظةَ ذاتَها؛ كيف عصف ذاتَ يومٍ في حياتهما إعصارٌ شديد وضربتهما زوبعةٌ هوجاء!؟ في إحدى الحالتين انهار كلُّ شيء، وتناثرت المقتنيات والصناديق والأسِرَّةُ، وجرفها السيل العارم، ولم يبقَ لتلك الحياة أثرٌ؛ هذه النفس المسكينة بُنيت على رمل، وفي يوم امتحانها تقوّض كلُّ شيء واختفى. في الحالة الأخرى، أيضاً ضرب إعصارُ الوَحشة والوَحدة والألم والمعاناة هذه النفس، لكنّها خرجت أقوى وأجرأ وأينع وأقرب إلى الله، لأنها بُنيت على صخر. والآن، ماذا عنك وعنّي؟ لقد اعتدنا السيرَ مع المشاة، فكيف نلحق الخيّالة؟ إن أنهكت وعكةٌ صغيرة إيمانَنا ومزاجَنا، فماذا نفعل عندما يثور الأردنُّ ويُزبد؟!

من المفترض والفرض أن نسمع ليسوع، لأنه تكلّم من ظِلِّ وظلمةِ الصليب. قد لا نفهمه، أو نتّفق معه، أو نطيعه؛ لكن لا يحقّ لأيٍّ كان أن يُنكر عليه حقَّه في الكلام: لقد نبّه "هُوَذَا بَيْتُكُمْ يُتْرَكُ لَكُمْ خَرَاباً!" (لوقا ١٣: ٣٥)، فماذا نقول وقتَها؟

لم يسبق أن ادّعيت أنني أفهم كثيراً معارجَ حياتنا هذه المحيِّرة والمُربكة؛ فلا شك أنّ الإقرار بمحبّة الله يثير معضلاتٍ جديدة: إن كان الله محبّة، فلماذا ... ولماذا ... ولماذا ...!؟ جوهرُ الإيمان، كما فهمتُه منذ انطلاقتي الإيمانيّة الأولى، هو ولاءٌ جَسورٌ قادرٌ على تأكيد ذاته في أحلك الظروف، وثقةٌ بالله لا تتزعزع حتى عندما تبدو البيّناتُ واهيةً. هل تظنّون أن المسيح كان دائماً يفهم ما يدور حوله ولا يأبه

لشيء؟ مرّةً تناول مشيئةَ الله له بيديه، وقلّبها من جهة إلى أخرى، وسأل: هل هذا ما تريده مني، يا أبتاه؟ وشاحت للحظةٍ بعضُ نظرات الشكّ في عينيه؛ في يوم آخر، في حيرةٍ والتباس، سأل الآبَ السماوي: هل حقّاً هذا ما تطلبه منّي؟ هل تطلب أن أكون كفّارة - أنا الذي لم أعرف خطيئة ولم أقترف ذنباً - عن الخطاة الأشرار؟ أيضاً أخرى عندما أزبد العُبابُ في قلبه واخترق إلى أعماق نفسه ... لم يتراجع، بل شقَّ دربّه، مُثخَناً بالجراح والسياط والبصق والهُزء والإنكار، إلى الضفة الأخرى - إلى الصليب والكفارة، ومات مؤمناً كلَّ الإيمان بالله الذي بدا وكأنّه قد تخلّى عنه - إلهي، إلهي، لماذا تركتني؟! لذلك أُعْطِيَ اسْماً فَوْقَ كُلِّ اسْمٍ، لِكَيْ تَجْثُوَ بِاسْمِ يَسُوعَ كُلُّ رُكْبَةٍ مِمَّنْ فِي السَّمَاءِ وَمَنْ عَلَى الأَرْضِ وَمَنْ تَحْتَ الأَرْضِ، وَيَعْتَرِفَ كُلُّ لِسَانٍ أَنَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ هُوَ رَبٌّ لِمَجْدِ اللهِ الآبِ (في ٢: ٩-١١).

أنا لا أفهم حياتَنا هذه كلَّ الفهم، لكنني لا أفهم مطلَقاً كيف - بصفراوية - يُطوِّح بعضُ أهل الإيمان إيمانَهم عند أيّ اضطراب أو بليّةٍ أو حزنٍ!! قولوا لي، باسم يسوع، نطوّح إيماننا ... لماذا؟ ألا يكفي ما فقدناه حتى نفقد إيمانَنا أيضاً!! إذا كان المسيح هو الطريق والحق والحياة، ورجاءُ الأبديّة التي وعدَنا بها حقيقةً نصبو إليها، فمن الطبيعي والواجب أن نتعلّق به وبصليبه؛ أمّا إذا كانت الحقيقة غيرَ هذا، ولا رجاء في حياتنا، فكم هي حالكةٌ فَحْمَةُ الظلام!

في كلمة الله قولٌ مَهيبٌ جداً ورصين، "نَطْلُبُ أَنْ لاَ تَقْبَلُوا نِعْمَةَ اللهِ بَاطِلاً" (٢كو٦: ١). أن يضطر المسيح لأن يموت بدلاً منا، أن يُغدق اللهُ ألطافَه علينا بغنىً، أن نتجاهل هذا وندير له القفا، فهذا قمّةُ الشقاوة. أوَليس أمراً مؤسفاً ومُخجِلاً أن نقبل طريقَ الحياة باطلاً بعد الثمن الباهظ الذي دفعته السماء في شخص الابن الأزلي؟ أنا أعلم أنّ الحزن الشديد يزعزع الوعي، ويُخدِّرُ الفؤاد فلا يعُد يشعر الإنسان بيد الله.

أَلَيْسَ في الليل، لا في النهار، تظهر النجومُ واحدة تلو الأخرى، ومجرّةٌ بعد مجرّة، فينبلجُ لعيون أذهاننا المُتَماحِية شُسُوعُ هذا الكون المحيِّر. ها في الظلام

يصير الإيمانُ أكبرَ وأجرأ، ويزدادُ دَهَشُه يوماً بعد يوم. قال ذلك الواعظ الشهير، رجل الله روذرفورد: "إنما النعمةُ تنمو أفضلَ ما يكون في الشتاء" (يقصد في عواصف الحياة وأنوائها).

في طريق الربِّ أسري ... لا أُبالي بالظلامْ
فطريقُ الربِّ نورٌ ... وارتياحٌ وسلامْ
أينما وجّهتُ دربي ... فيسوعُ لي رفيقْ
حين أدعوهُ يُريني ... كلَّ خيرٍ في الطريقْ

الإيمان ينجح، ويكمِّل ذاته – هذه حقيقة، وكذا أجسَرُ وعودِه! تأكيداتُ الإنجيل العظيمة ليست فرضيّاتٍ أو تخمينات، ولا وجود لكلمة "ربّما" في مفرداتها. هذه الحقائق الساطعة ورودٌ قطفتها أيدٍ كأيادينا من بستان اختباراتها الحقيقيّة. أنّى للنبي أن يعرف يقيناً أنّه كَإِنْسَانٍ تُعَزِّيهِ أُمُّهُ هكَذَا يعزّي الربُّ قلوبَنا المنسحقة (إش٦٦: ١٣)؟! بل كيف عرف النبي أن الربَّ، تعالى اسمُه، يشفي أصحابَ القلوب المنكسرة والنفوس المنسحقة؟ الجواب الأكيد هو لأنهم، "في شديد الحزنِ والغمِّ المذيب، وسقامِ الجسمِ والعجز المريب، وظلامِ اليأس والهول المشيب، وليالي الفقر والهمِّ الأليم، وزمان الضيق والخوفِ العظيم، واضطرامِ البُغضِ والجَور الذميم" اختبروا حضورَ الله الحقيقي والشديد وعونَه الأكيد ولمَسَتَه العجيبة معهم. عندما نجد أنفسنا وقد طوّحتنا عوادي الأيام في أتونٍ حُمِّيَ سبعةَ أضعاف، لن نكونَ وحدنا أبداً، لأنّ "شبيهَ ابنِ الآلهة" (دا ٣: ٢٥) سيكون برفقتنا. إذا زلّت قدمُنا فوق الصخور الملساء في كبرياء الأردنّ، ستَثِبُ يدٌ أمينةٌ قادرة وتُنهِضُنا من جديد؛ قال الرب يسوع: "لاَ أَتْرُكُكُمْ يَتَامَى. إِنِّي آتِي إِلَيْكُمْ" (يو ١٤: ١٨). هو حاضر دائماً معنا، "هَا أَنَا مَعَكُمْ كُلَّ الأَيَّامِ إِلَى انْقِضَاءِ الدَّهْرِ" (مت٢٨: ٢٠)، ليعزّينا ويَعِزَّنا ويقوّينا ويهدينا من ساعةٍ إلى ساعة ومن يوم إلى يوم. عندما هامت أفكار المرنِّم قديماً في صلاح الله ورأفته اختلجتِ الكلماتُ على لسانه: "كَمَا يَتَرَأَّفُ الأَبُ عَلَى الْبَنِينَ يَتَرَأَّفُ الرَّبُّ عَلَى خَائِفِيهِ" (مز١٠٣: ١٣).

أتظن أنك تؤمن بالحياة بعد الموت ؟! اسأل الذين أودعوا بطنَ الأرض حبيباً غالياً، وسيخبرونك ماذا يعني الإيمان. لطالما تفرّستُ بإعجابٍ شديد في بولس أمام القبر الرهيب، وقد كوَّر أصابعَ يده على شكل علامة استفهام، وهو يتحدّى بعنفوان وازدراء، "أَيْنَ شَوْكَتُكَ يَا مَوْتُ؟ أَيْنَ غَلَبَتُكِ يَا هَاوِيَةُ؟" (اكو١٥: ٥٥). كلُّنا نستطيع أن نقول لبولس أين هي شوكة الموت؛ إنها الشعور بالافتقاد الذي لا يكبو ولا يستكين. إنها فكرةُ انحلالِ أجسادنا إلى أديم الأرض التي نطأ بأقدامنا - عاجلاً أم آجلاً. لكنني أشكر الله أنني "أؤمن بشركة القديسين، وبمغفرة الخطايا، وبقيامة الموتى، وبالحياة الأبديّة". عُرف الشاعر العبقري دانتي بشخصيّته الفظَّة؛ نعم، بينما كان يصعد تلّةً قيل إنها تطهِّر كلَّ من يصعدُها، إذ بالأرض تهتزُّ تحت قدميه وتميد. صرخ دانتي مذعوراً، "ما هذا؟" فابتسم الدليل، وقال: "نفسٌ سعيدة فجّرت القبر وصعدت منتصرة نحو العلاء، وكلُّ سكان الجبل يسبّحون الله من أجل هذا ... لذلك اهتزّت التلّةُ وترنّحت" (رواها هو).

لا أعتقد أننا يجب أن نخاف من الحياة. صحيح قلوبنا ضعيفة جداً، وأن بعضَ دروب الحياة شديدةُ الانحدار ووعرة، لكنّ إلهنا عظيم فلا يعوزنا شيء، في مراعٍ خضر يربضنا، وإلى مياه الراحة يوردنا؛ يردّ أنفسنا، يهدينا إلى سبُل البر ... من أجل اسمه. هل انتبهتم؟ من أجل اسمه.

وكما صاغ بولس يقينيّاته، لاَ مَوْتَ وَلاَ حَيَاةَ، وَلاَ مَلاَئِكَةَ وَلاَ رُؤَسَاءَ وَلاَ قُوَّاتِ، وَلاَ أُمُورَ حَاضِرَةً وَلاَ مُسْتَقْبَلَةً،وَلاَ عُلْوَ وَلاَ عُمْقَ، وَلاَ خَلِيقَةَ أُخْرَى، تَقْدِرُ أَنْ تَفْصِلَنَا عَنْ مَحَبَّةِ اللهِ الَّتِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّنَا (رومية ٨).

٤

درس الكتاب المقدّس

- «العهد» في العهد القديم
- من سفر الرؤيا

مواضيع لاهوتية في العهد القديم
الحلقة الرابعة

«العهد» في العهد القديم

القس د. هادي غنطوس*

مقدمة

"العهد" أو "الميثاق" هو، بالمبدأ، اتفاق بين طرفين، حيث يَعِدُ أحدهما أو كلاهما، تحت القسم، بالالتزام بتنفيذ أو الامتناع عن القيام بأمور معينة. ومما لا شك فيه بأن مفهوم العهد هو أحد أهم المفاهيم اللاهوتية في الكتاب المقدس بعهديه، القديم والجديد، واللذين ندعو كل منهما بـ"عهد". فالعلاقة بين الله والإنسان في كلا العهدين هي علاقة عهد، ومفهوم "العهد" هو صورة أساسية تستخدم في وصف العلاقة بين الله وشعبه.

التعبير العبري الأهم الذي يرد في العهد القديم بمعنى "عهد" هو "بُريط" ويظهر ٢٨٦ مرة في العهد القديم. لكن أيضًا يتضمن العهد القديم العديد من التعابير الأخرى التي تشير إلى العهد وإلى علاقة العهد دون استعمال تعبير العهد (بُريط) نفسه، حيث يتضمن العهد القديم تعابير عديدة تشير إلى العهد أو إلى العلاقة التي يؤسسها العهد، بما في ذلك الالتزام بالعهد أو كسره.

ويحمل تعبير "بُريط" في اللغة العبرية، وكما هو الحال مع تعبير "عهد" في اللغة العربية، أكثر من معنى، ويترجم بأكثر من تعبير باللغات المرتبطة باللاتينية.

---

*أمين سر لجنة الشؤون الكنسيّة والروحيّة، راعي الكنيسة الإنجيليّة الوطنيّة في منيارة، دكتور متخصص في العهد القديم

فـ"بُريط" (ومثله "عهد") يترجم كـ "covenant"، والتي تعطي معنى معاهدة أو ميثاق متبادل، وكـ "testament"، وهو التعبير المستخدم لجزأي الكتاب المقدس، العهد القديم "Old Testament" والعهد الجديد "New Testament"، ويشير إلى مبادرة نعمة يتخذها الله بملء حريته.

وإذا كان تعبير "بُريط" يترجم بمعنى "عهد"، فمن الصعب تحديد المعنى الدقيق له. ولكنّ الاحتمالات الأكبر لمصدر الكلمة هي: (١) إما الفعل العبري "بارا"، والذي يعني "أكل خبز مع"؛ أو (٢) الاسم الآكادي "بِريطو"، والذي يعني "السلسة التي تربط على كاحل السجين"؛ أو (٣) الضمير الآكادي "بِريط"، والذي يعني "بين".

في كل الأحوال، تعبير "بُريط"، وكما تشير جميع التعابير المكافئة والمشابهة له في الشرق الأدنى القديم، لا يعني مجرد اتفاق، ولكنه يعني التزام أو تعهّد. فالتعبير السومري "إنيم كا كِش" والتعبير الآكادي "ريكسو" والتعبير الحثي "إشحيول" والتعبير العربي "عقد" جميعها تحمل معنى الارتباط بتعهّد أو قسم.

"العهد" في الشرق الأدنى القديم

المفهوم الديني للعهد كارتباط بين الإنسان والإله يعود إلى الألف الثالث قبل الميلاد في الشرق الأدنى القديم، كما في حالة العهد بين الملك "أورو-إنيمغا" ملك لاغاش في شمال الرافدين وإلهه "نينغيرسو". ويظهر تعبير "بُريط" مرتبطاً باسم الإله "إيل" في مخطوطات أوغاريت التي تعود إلى القرنين ١٣-١٤ ق.م، ولكن في سياق وجود إيل كشاهد على المعاهدة وليس كمشارك فيها.

ولكن المفهوم الأهم للعهد في الشرق الأدنى القديم يعود إلى سياق المعاهدات المختلفة التي كانت تتم بين الممالك والأفراد، والتي كانت تشكل إحدى أهم أسس مجتمعات الشرق الأدنى القديم. فلحوالي ثلاثة آلاف سنة، كان الناس في جميع أنحاء الشرق الأدنى القديم يجرون "عهودًا" و"معاهدات" تمتدّ من الزواج إلى العلاقات الدولية، ولقد عثرنا على عدد كبير من تلك "العهود" و"المعاهدات"، بحيث أن فكرة العقود ولغة المعاهدات وتعابيرها كانت تشكل بعدًا أساسيًا في

المجتمع وبنيته في الشرق الأدنى القديم.

وتُشَكّل تلك العهود والمعاهدات الدينية والمعاهدات والاتفاقات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي كانت شائعة في الشرق الأدنى القديم وما يرتبط بها، وبالتحديد "معاهدات الخضوع" بين الملوك، والتي عثرنا على عدد كبير منها، الخلفية التي يجب أن نفهم على أساسها مفهوم "العهد" في العهد القديم.

ومن الملفت للنظر أن تعبير "بُريط" نفسه يظهر بمعنى سياسي في معاهدة خضوع في السجلات المصرية الخاصة بالملك رمسيس الثالث في الجزء الخاص بالليبيين المهزومين (حوالي سنة ١١٧٠ ق.م)؛ في إشارة واضحة إلى أن استعارة هذا التعبير من كنعان وتحوله إلى تعبير شائع في هذا النوع من المعاهدات في ذلك الوقت، بعد أن كان في الفترة التي تسبق ذلك يستخدم بشكل متكرر في نوع خاص من الاتفاقات من النوع الاقتصادي أو الاجتماعي.

ومن المهم أن نشير هنا إلى أن تلك المعاهدات المختلفة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وبالتالي العهود التي تشير إليها تتضمن عدة أبعاد نرى انعكاسًا لها في "عهود" العهد القديم، من أهمها:

١. مقدمة تعطي أسماء وألقاب الأطراف المتعاهدة، والتي غالباً، وإن يكن ليس دائماً، غير متكافئين.
٢. حدث أو أحداث "تاريخية" تضع الأرضية للعلاقة السابقة بين الطرفين.
٣. تحديد سبب الحاجة إلى علاقة جديدة أو نوع جديد من العلاقة لم يكن موجود بين الطرفين، مع تحديد ممارسات وإلتزامات معينة للمستقبل.
٤. لائحة بشهود "إلهيين".
٥. إعلان بركات ولعنات.

وتترافق تلك المعاهدات عادة بما يلي:

٦. عادات وممارسات ومفاهيم اجتماعية ودينية متشابهة بين الطرفين.
٧. صيغ محددة لتسجيل المعاهدات.
٨. ودائمًا تقريبًا ما يترافق ذلك مع طقوس محددة لإعلان وتثبيت المعاهدة.

وتتميز تلك "العهود" بأنها عادة ما تكون مشروطة، حيث تتضمن شروطًا لاستمرارها وتعهدات على الطرفين الالتزام بها.

ورغم عثورنا في ذلك السياق على عدة معاهدات بين ملوك متكافئين، كما في معاهدة السلام في قادش (الصورة ١ و٢). وتلك المعاهدة، التي تعرف بأقدم معاهدة سلام معروفة في التاريخ، وهي المعاهدة التي قام بإبرامها "رمسيس الثاني" ملك مصر مع الملك الحثي "موواتاليس" بعد معركتهما الشهيرة في قادش قرب نهر العاصي، جنوب حمص اليوم، في سنة ١٢٧٥ ق.م، هي نموذج مثالي للمعاهدات بين مملكتين متكافئتين في الشرق الأدنى القديم، حيث يقف كلا الملكين على قدم المساواة مع بعضهما البعض في تعهداتهما والتزاماتهما. وبالتالي، فليس من المفاجئ العثور على نسختين مختلفتين لها، نسخة مصرية باللغة الهيروغليفية، ونسخة حثية باللغة الآكادية المسمارية.

الصورة ١: معاهدة سلام قادش - النسخة المصرية الصورة ٢: معاهدة سلام قادش - النسخة الحثية

لكن الشكل الأكثر شيوعًا للمعاهدات الذي تم العثور عليه في الشرق الأدنى القديم هو من نوع "معاهدات الخضوع". وهذا النوع من المعاهدات، والذي هو الأكثر تأثيراً في "عهود" العهد القديم، كان يتم بين ملك مسيطر وملوك خاضعين له، بحيث يتعهد الملك الخاضع بطاعة الملك المسيطر والخضوع لسلطانه والولاء له ودفع الجزية له والمحاربة إلى جانبه، في مقابل تعهد الملك المسيطر بـ"حماية" الملك الخاضع له وتثبيت ملكه. وتتبنى تلك المعاهدات صيغًا تَكَرُّم الملك المسيطر بعلاقة "نعمة" ورعاية وحماية على الملوك الخاضعين له، مقابل تعهدهم بالخضوع له وحده واعترافهم والتزامهم بسلطانه عليهم وتقديم الطاعة له.

وتسجل "معاهدات الخضوع" البركات التي يحصل عليها الملك الخاضع نتيجة لالتزامه بالمعاهدة. كما تعلن تلك المعاهدات خضوع الملوك الخاضعين لعقاب الملك المسيطر كما وللعنة الآلهة في حال كسرهم لتعهداتهم، وتسجل اللعنات والعقوبات التي تنتج عن كسر الملك الخاضع للمعاهدة. حيث كان كسر أي بند من بنود المعاهدة يعتبر بمثابة الخيانة التي يعاقب عليها الملوك الخاضعين بشدة، فيتم غزو ممالكهم وانهاء ملكهم واستبدالهم بملوك آخرين يخضعون لبنود الاتفاق المفروض وفرض جزية كبيرة عليهم.

وكما ذكرنا أعلاه، عادة ما كان تثبيت تلك المعاهدات يترافق بطقوس وممارسات ذات طابع ديني. ويشكل ذلك النوع من المعاهدات الخلفية التي نستطيع أن نفهم "عهود" العهد القديم على أساسها وفي ضوئها (الصورة ٣، ٤، ٥، ٦، ٧، ٨، ٩، و١٠).

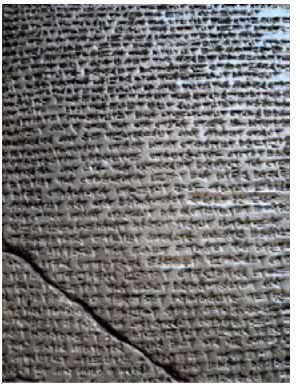

الصورة ٣: المعاهدة بين الملك الحثي «توذحاليا الرابع» (١٢٤٠-١٢٦٠ ق.م) و«كورونتا»، ملك تارحونتاشا (في آسيا الصغرى)، والتي تمثل نموذجاً لـ«معاهدات الخضوع»، حيث يعلن كورونتا ولائه الكامل لتوذحاليا، الذي يبارك كورونتا بتثبيت ملكه، مع ختم المعاهدة بختم الإلهة-الشمس والإله-العاصفة.

الصورة ٤: «معاهدة حلب»بين الملك الحثي «مورسيلي الثاني» و«تالمي-شاروما»، ملك حلب، والتي يعلن فيها الملك الحثي عقابه لمملكة حلب وتوزيع أراضيها على ممالك أخرى معادية لها، وذلك بسبب معارضتها ومحاربتها له (حوالي سنة ١٣٠٠ ق.م).

الصورة ٥: رسالة من «لابايو»، ملك شكيم، يبرر فيها تصرفه العنيف بأنه كان فقط لضبط الاضطرابات ضمن مدينته وليس تمرداً على سلطة مصرالصورة

٦: رسالة من «ويديا»، حاكم أشقلون، يعلم الفرعون بأنه يتمم واجباته بحسب المعاهدة بينهما من خلال حماية مدنه ودفع «الضرائب» المتوجبة عليه

الصورة ٧: رسالة من «سوارداتا»، ملك حبرون، يطالب فيها أخناتون، كالملك الحامي له، بالتدخل سريعاً لنجدته

الصورة ٨: رسالة من «أزيرو»، ملك أمورو (لبنان اليوم)، إلى الفرعون وهي واحدة من ١٣ مراسلة متبادلة بين أزيرو وأخناتون. ويبرر أزيرو في هذه الرسالة تصرفاته مؤكداً ولائه للفرعون

الصور ٥، ٦، ٧، ٨: مجموعة من رسائل (مخطوطات) تل العمارنة، موجهة إلى الفرعون أخناتون (١٣٥٣-١٣٣٦ ق.م) من قبل ملوك خاضعين له.

الصورة ٩: المسلة السوداء للملك الآشوري شلمناصر الثالث (٨٥٩-٨٢٤ ق. م).

الصورة ١٠: القسم الخاص بياهو ملك إسرائيل في المسلة السوداء حيث يظهر ياهو وهو يجثو أمام شلمناصر الثالث، في حين يسجل الشرح الموجود فوقها أن شلمناصر الثالث قد حصل من ياهو على فضة وذهب وصولجان ملكي، في إشارة واضحة إلى خضوع ياهو لسلطان شلمناصر، وإلى «عهد» الملك المسيطر-الملك الخاضع الذي يجمعهما

ويتضمن العهد القديم عدة أمثلة لعهود من نمط "معاهدات خضوع" بين الملوك وعقوبة كسرها في كتاب الملوك وكتاب أخبار الأيام (١ مل ١٤: ٢٥-٢٨؛ ١٥: ١٨-٢١؛ ٢٠: ١-٤؛ ٢ مل ١٢: ١٧-١٨؛ ١٨: ١٣-١٦). فمثلاً، ١ مل ٢٢: ١-٤؛ ٢ مل ٣: ٤-٧، واللذان يقدمان ملك يهوذا يعلن ولائه والتزامه بمرافقة ملك إسرائيل إلى الحرب، يمثلان نصين نموذجيين للعلاقة بين ملك خاضع ملك مسيطر في عهد خضوع في الشرق الأدنى القديم. ففي كلا النصين، ملك إسرائيل يطالب ملك يهوذا بمرافقته؛ وكلا النصين يستخدمان تعابير تفترض وجود معاهدة بين الطرفين، تمثل فيها يهوذا الطرف الخاضع، كما تظهر المقارنة مع نصوص مشابهة في المعاهدات في الشرق الأدنى القديم. كما هو الحال مثلاً في إعلان الملك نيقمادو للملك الحثي شوبيلوليوما، "مع أعداء سيدي، أنا عدو، ومع حلفائه، أنا حليف". ولكن التأثير الأهم لـ"معاهدات الخضوع" في العهد القديم هو على مفهوم "العهد" بين الله وشعبه.

"عهود" العهد القديم

كما ذكرنا أعلاه، مفهوم "العهد" هو أحد أهم المفاهيم اللاهوتية للعهد القديم، حيث العلاقة بين الله والإنسان هي علاقة عهد يقيمه الله مع الإنسان، وحيث يرد تعبير "بُريط"، كما ذكرنا أعلاه، ٢٨٦ مرة بالإضافة إلى تعابير أخرى مرتبطة بمفهوم العهد في العهد القديم.

وإذا كانت آلهة شعوب الشرق الأدنى القديم تلعب دورًا أساسيًا في العهود والمعاهدات المختلفة، فإن دورها ذاك كان يُحصَر بكونها شاهدة عليها، وليس طرفًا فيها. وهذا ما يمثل التغيير الراديكالي الذي يصنعه العهد القديم، حيث يأخذ الله دورًا كان حكرًا على البشر في المعاهدات ويصبح شخصياً طرفًا في العهد. فعلى العكس من العهود التي كانت موجودة في الشرق الأدنى القديم، "العهد" في العهد القديم هو ليس عهدًا يشهد عليه الله، ولكنه عهد يقيمه الله مع الإنسان ويلعب فيه الله أحد طرفي العهد.

فعلى طول صفحات العهد القديم، تعبير "كارات بُريط"، "قطع عهدًا"، يستخدم بشكل متكرر في إطار عهد يقيمه الله مع شعبه (تك ١٥: ١٨؛ خر ٢٤: ٨؛ تث ٤: ٢٣؛ ٥: ٢؛ ٢ مل ١٧: ١٥؛ إر ١١: ١٠؛ حز ٣٤: ٢٥). كما ويستخدم العهد القديم أيضًا تعابير أخرى تشدد على أخذ الله للمبادرة في إقامة العهد، كالفعل "هقيم (أقام/أقيم)" (تك ٦: ١٨؛ ٩: ١١؛ ١٧: ٧...)، والفعل "ناثان (أعطى، وضع، جعل)" (تك ٩: ١٢؛ ١٧: ٢؛ عد ٢٥: ١٢...)، والفعل "أمر" (يش ٧: ١١؛ ٢٣: ١٦؛ ١ مل ١١: ١١...).

ويؤكد العهد القديم مرارًا على الطبيعة المتميزة لكل من الله واسرائيل نتيجة للعهد بينهما، كما في تثنية ٤: ٣٢-٣٤:

"٣٢فَاسْأَلْ عَنِ الأَيَّامِ الأُولَى الَّتِي كَانَتْ قَبْلَكَ، مِنَ الْيَوْمِ الَّذِي خَلَقَ اللهُ فِيهِ الإِنْسَانَ عَلَى الأَرْضِ، وَمِنْ أَقْصَاءِ السَّمَاءِ إِلَى أَقْصَائِهَا. هَلْ جَرَى مِثْلُ هذَا الأَمْرِ الْعَظِيمِ، أَوْ هَلْ سُمِعَ نَظِيرُهُ؟... هَلْ شَرَعَ اللهُ أَنْ يَأْتِيَ وَيَأْخُذَ لِنَفْسِهِ شَعْبًا مِنْ وَسَطِ شَعْبٍ، بِتَجَارِبَ وَآيَاتٍ وَعَجَائِبَ وَحَرْبٍ وَيَدٍ شَدِيدَةٍ وَذِرَاعٍ رَفِيعَةٍ وَمَخَاوِفَ عَظِيمَةٍ، مِثْلَ كُلِّ مَا فَعَلَ لَكُمُ الرَّبُّ إِلهُكُمْ فِي مِصْرَ أَمَامَ أَعْيُنِكُمْ؟"

هذا التعديل الجوهري، أو الدور الجديد لله، في العهد القديم يرسم هوية علاقاتية لطرفي العهد، الله والإنسان. فهو ينقل الله من بعد المسيطر العشوائي ويضعه ضمن حدود علاقة محددة مع الإنسان، كما ويحدد حياة الإنسان ضمن نظام علاقة محددة مع الله.

وإعلان "تكونون شعبًا لي، وأنا أكون لكم إلهًا" هو إعلان يتكرر بشكل كبير في العهد القديم، وبشكل يأخذ فيه شكل "القرار" للعهد بين الله وشعبه (تك ١٧: ٧؛ خر ٦: ٧؛ ٢٩: ٤٥؛ لا ٢٦: ١٢؛ عدد ١٥: ٤١؛ تث ٧: ٦؛ ١٤: ٢؛ ٢٩: ١٢-١٣؛ ٢ صم ٧: ٢٤؛ ١ كو ١٧: ٢٢؛ إر ٧: ٢٣...).

لكن من المهم أن ندرك بأن العهد القديم لا يشير إلى عهد واحد، ولكن إلى عدة "عهود" بين الله والإنسان. ودعونا نشير هنا إلى أن تلك هي النظرة الذي

يتبناها العهد الجديد في تعامله مع العهد القديم، حيث يشير بولس في رو ٩: ٤، إلى "العهود" مع إسرائيل، وفي غل ٤: ٢١-٣١ إلى "عهدين" يتمثلان بهاجر وسارة وابنيهما اسماعيل واسحاق. ويشير الباحثون إلى العهود التالية في العهد القديم:

١. العهد مع نوح (تك ٩: ٨-١٧)
٢. العهد مع ابراهيم (تك ١٢: ١-٣؛ ١٥: ١-٢١؛ ١٧: ٣-١٤؛ ٢٢: ١٤-١٩)
٣. العهد مع موسى (العهد في سيناء) (خر ٢٤-١٩؛ عد ٢٥: ١٠-١٣؛ تث ٢٧-٣٠)
٤. العهد مع داود (٢ صم ٧: ٨-١٦)
٥. العهد الجديد (إر ٣١: ٢٧-٤٠)
٦. عهود أخرى (١ صم ٢: ٣٥؛ حز ٤٤: ١٠-١٥؛ مل ٢: ٤)

وإدراك وجود عدة "عهود" في العهد القديم يسمح لنا بالإجابة على السؤال الذي يختلف حوله الباحثون والمؤمنون حول ما إذا كان "العهد" في العهد القديم أحادي الجانب، يرتبط بالله وحده، أم ثنائي الجانب، يدخل فيه الله والإنسان في اتفاق متبادل. وجواب ذلك السؤال ببساطة هو كلا الأمرين معًا. فالعهد "البُريط" الذي يقطعه الله مع الآباء ومع داود يأخذ شكل التزام من طرف واحد هو الله، الذي لا يطالب الإنسان بالتعهد، ولكنه هو من يأخذ التعهد على نفسه بأن ينفذ أو يحقق شيئا ما، ويثبت هذا التعهد بقسم. في حين أن العهد "البُريط" في سيناء يحدد التزامات الشعب بحسب العهد ويجعل ذلك الالتزام شرطاً لاستمرار العهد ونجاحه. وسنقوم فيما يلي بالقاء نظرة سريعة على بعض "عهود" العهد القديم، مبتدئين بالعهد الأشهر، العهد في سيناء.

١. العهد في سيناء

لا شك بأن العهد الذي يقيمه الله مع شعبه في سيناء هو العهد الأشهر بين جميع "عهود" العهد القديم. لا بل وكثيرًا ما يشكل العهد في سيناء العهد الوحيد الذي يتعامل معه المؤمنون عند تعاملهم مع مفهوم العهد في العهد القديم، حين يشيرون إلى العهد القديم كعهد شرطي في مقابل نعمة العهد الجديد.

وإن حصر "العهد" في العهد القديم بالعهد في سيناء قد يكون أمرًا مفهومًا، بما أن التقاليد المرتبطة بسيناء والشريعة (خر ١٩: ١–عد ١٠: ١٠؛ سفر التثنية) تشكل حوالي ٧٠٪ من نص التوراة، التي تشكل قلب العهد القديم، ولكنه أمر يتنافى وطبيعة العهد القديم ويهمل أبعاداً هامة لمفهوم العهد في العهد القديم.

في نفس الوقت، فإن فهم العهد في سيناء كعهد شرطي هو فهم صحيح إلى حد كبير، بما أن العهد في سيناء يأخذ شكل المعاهدات بين الملوك في الشرق الأدنى القديم، حيث يأخذ الرب شكل الملك المسيطر، والشعب شكل الملوك الخاضعين له. حيث أن العهد فيها يتضمن النقاط التالية: (أ) عنوان؛ (ب) تمهيد تاريخي؛ (ج) وصايا أساسية مع قوانين مفصلة؛ (د) تسليم النص وقراءته للشعب؛ (هـ) الشهود وتثبيت العهد وتأكيده (خر ٢٤: ٣–٨؛ يش ٢٤: ٢٢–٢٧)؛ (و) البركات واللعنات (لا ٢٦؛ تث ٢٨)؛ (ز) خاتمة.

وبالتالي، فالعهد في سيناء يأخذ شكل المعاهدات في الشرق الأدنى القديم (انظر بنية المعاهدات في الشرق الأدنى أعلاه). كما أن ذلك التشابه يمتد ليشمل الصيغ المختلفة التي يستخدمها العهد في سيناء. كما هو الحال مثلاً في التشابه بين اللعنات في تث ٢٨: ١٥–٦٨ واللعنات التي تتضمنها المعاهدات الآشورية. وكما هو الحال مثلاً في افتتاحية العهد في خروج ٢٠ وافتتاحيات معاهدات الخضوع في الشرق الأدنى القديم.

خروج ٢٠	معاهدة الملك الحثي مُرسيلي الثاني مع نيقميبا ملك أوغاريت
– «ثم تكلم الله بجميع هذه الكلمات، قائلاً» (آ ١) – «أنا الرب ألهك الذي أخرجك من أرض مصر، من بيت العبودية» (آ ٢)	– «هذا ما يقوله الشمس، الملك العظيم، مُرسيلي، ملك أرض حث» – «بالنسبة لك يا نيقميبا، فقد صالحتك مع أقرانك، وسعيت لتثبيتك كملك على عرش أبيك، وبالتالي، فأنت وشعبك أصبحتم عبيداً لي»

افتتاحية العهد في سيناء وافتتاحية المعاهدات في الشرق الأدنى القديم

ونحن نجد في سفر التثنية الكثير من اللوائح التي تحمل مختلف التعليمات والواجبات التي يجب أن يحفظها شعب الله بشدة ليرضوا الله ويتجنبوا نار غضبه الحارقة. ويمثل العهد التثنوي (تث ٢٧-٣٠) مثالاً واضحًا لذلك الفهم لعلاقة العهد المشروط بين الله وشعبه، والذي يتعهد فيه الشعب بالخضوع لله وطاعته في حين يتعهد الله بحماية إسرائيل وازدهارها.

وفي ذلك السياق، كثيرًا ما تشير الأسفار النبوية إلى العهد في سيناء لتبرير الدمار الذي أصاب إسرائيل، بسبب كسرها لـ"تعهداتها" في ذلك العهد، الذي تأخذ فيه صورة الملك الخاضع، مقابل التزام الرب بما تعهد به، وهو يأخذ صورة "الملك المسيطر"؛ الأمر الذي جلب على إسرائيل "لعنات" عدم الالتزام بالعهد، وتسبب بالتالي في كسر وعد الرب لداود.

لكن، من جهة أخرى، هذا الفهم للعهد في سيناء يفشل في فهم الغنى والتنوع الكبيرين للعهد في سيناء. فالعهد القديم يقدم، كما رأينا في استعراضنا لبنية العهد أعلاه، ثلاث نسخ، وليس نسخة واخدة فقط للعهد في سيناء: (١) خروج-لاويين؛ (٢) تثنية؛ و(٣) يشوع ٢٤.

كما العهد في سيناء يعطي أهمية كبرى لمركزية "المحبة" في العهد. فبحسب تثنية ١٠: ١٢-١٩، المحبة هي منطلق العهد والتجاوب المناسب معه؛ محبة الله هي مصدر العهد (تث ١٠: ١٥)، وإسرائيل مدعوة لتتجاوب مع العهد بمحبة الله فوق كل شيء (١٠: ١٢) ومحبة الغريب (١٠: ١٩). ولذلك الوصية الذهبية التي يتلخص فيها كل الناموس (التوراة) والأنبياء هي المحبة (مت ٢٢: ٤٠)، محبة الله (تث ٦: ٤-٥)، ومحبة القريب (والغريب) (لا ١٩: ١٨، ٣٤).

كما أن البركات واللعنات المرتبطة بالعهد في سيناء والمقدمة في نهاية سفر التثنية ترتبط ارتباطًا وثيقًا بمكانة وصورة إسرائيل بين الأمم، ومنحها الرفعة والشرف أو المذلة والعار بين الأمم، اعتمادًا على التزامها أو عدم التزامها بوصايا الرب. بكلمات أخرى، البركات واللعنات هنا ترتبط بـ"صورة" شعب الله وشهادته بين

الأمم، اعتماداً على مدى التزامه بعلاقته بالله، حيث أن العهد في سيناء يؤكد أن الشعب مدعو، نتيجة للعهد الذي يقيمه الله معه، ليكون شعبًا مقدسًا (تث ٧: ٦) وشعبًا حكيمًا وفطناً أمام أعين كل الأمم (تث ٤: ٦)، وليطلب العدالة (تث ١٦: ٢٠).

بالإضافة إلى ذلك، فالسبت، أي الراحة والتمتع بملء الحياة، هو الهدف النهائي للعهد (خر ٣١: ١٦-١٧)، كما كان هو قمة الخليقة (تك ٢: ١-٣).

وبالتالي، فالعهد في سيناء، هو عهد يتبع نموذج "معاهدات الخضوع" في الشرق الأدنى القديم، وبالتالي فهو عهد "شرطي". لكن حتى هذا العهد الشرطي هو أيضاً عهد نعمة يضع المحبة والشهادة في قلب علاقة الله بشعبه. في نفس الوقت، يتضمن العهد القديم عهوداً أخرى، هي في مجملها عهود نعمة صارخة.

٢. العهد مع نوح

تنتهي قصة طوفان نوح (تك ٦-٩) بإعلان الله لعهده "البوريط" الأول مع الخليقة وبإعطائه لعلامة ذلك البوريط، الذي لا يأخذ شكل اتفاقٍ بين طرفين متكافئين بالمعنى الذي كان سائداً في الشرق الأدنى القديم، ولكنه عهد ذو طبيعة مختلفة تمامًا عن ذلك؛ فهو عهد غير مشروط، لا يضع فيه الله شروطًاعلى شعبه ولا يحدد واجبات وتعليمات لنوح وللخليقة.

ولكن الله يقوم في هذا البوريط وعوضًا عن ذلك بوضع كل المسؤولية والواجبات على نفسه هو ويضع التعهد الوحيد في العهد عليه هو بأنه لن يخرب الأرض مرة أخرى، دون أي تعهد مقابل من الإنسان أو الخليقة. حيث يتعهد الله بألّا يسمح للعنف بأن يغمر الأرض يقضي على الحياة عليها، دون أن يضع في المقابل أي شرط على الإنسان أو الخليقة. وهذا "البوريط" الذي يقطعه الله مع نوح يتمتع بثلاث صفات لا تصدق؛ فهو عهد نعمة لا مشروط، أبدي، وعالمي أي لكل الكون، لكل الخليقة، لكل الأرض، ولكل الشعوب.

ومن المثير للاهتمام أن العلامة التي يضعها الله لذلك العهد الذي يقطعه

مع الخليقة إنما هي القوس المُعلَّق في السحاب، أي قوس قزح الذي يظهر في كل مرة تمطر فيها السماء. وهذه العلامة هي شيء خارج عن سيطرة الإنسان وإرادته، وبالتالي فهي علامة نعمة خالصة. بالإضافة إلى ذلك، تلك العلامة ذات أهمية لاهوتية كبيرة، لأن القوس بالمبدأ إنما يشير إلى قوس الحرب الذي كان يستخدم في اطلاق السهام في القتال، وكان الآشوريون يؤمنون بأن آلهتهم يعطونه لملوكهم قبل أي حملة عسكرية ليضمنوا نجاح حملتهم تلك (الشكل ١١). وبالتالي، فالعهد مع نوح يأخذ القوس الذي هو في الأصل علامة للحرب وللعنف، الذي أغرق طوفانه الشرق الأدنى القديم، ويكسره، ويحول القوس من رمز للعنف الموت إلى رمز للحياة ونصرة الحياة، التي يضمنها الله ذاته شخصياً في عهده اللا مشروط الذي يقيمة مع الإنسان والخليقة.

الشكل ١١: قوس الحرب الإلهي الآشوري

٣. العهد مع ابراهيم

لا بد لنا من أن نشير هنا إلى أن الباحثين يتفقون على مركزية العهد الابراهيمي لمفهوم العهد الكتابي وللاهوت العهد القديم. كما أن النصوص الكتابية المتأخرة ونصوص الأبوكريفا التي تتعامل مع مفهوم العهد تركز جميعها على أولوية العهد مع ابراهيم. وفي ذلك السياق، دعونا نشير هنا نح ٩: ٦-٣٧ تلخص قصة شعب الله مبتدئة بدعوة ابراهيم والعهد معه ومن ثم تؤسس الخروج والعهد في سيناء عليهما. وبالتالي، فابراهيم هو مفتاح فهم النظام الذي يتم تقديم وفهم العهود الأخرى في مرحلة ما بعد السبي.

كما أنن العهد القديم يشير إلى "العهد" مع الآباء الأولين، ابراهيم واسحاق ويعقوب، كعهد واحد (خر ٦: ٣-٤؛ ٢ مل ١٣: ٢٣؛ مز ١٠٥: ٩). وذلك العهد مع ابراهيم والآباء يتضمن ثلاثة وعود رئيسية، "الأرض"، "النسل"، و"البركة لكل أمم الأرض (البركة الكونية)".

ولوقت طويل، تحدث دارسو الكتاب المقدس عن "العهد الابراهيمي" في إشارة إلى عهد الله مع ابراهيم، في حين أنهم يتحدثون اليوم عن عهدين أو ثلاثة مع ابراهيم اعتمادًا على تكوين ١٥؛ ١٧ و٢٢. فتك ١٢: ١-٥ تقدم دعوة الله لابراهيم ليكون في علاقة عهد معه مع وعود الله لابراهيم بالبركات وطاعة ابراهيم وتجاوبه مع تلك دعوة الرب. كما أن حلقة ابراهيم في سفر التكوين تتضمم قصتين مختلفتين للعهد الذي يقطعه الله مع إبراهيم، وهما القصتان الموجودتان في تكوين ١٥ وتكوين ١٧. في هذين الإصحاحين يقدم سفر التكوين قصتين مختلفتين لعهد الله مع إبراهيم، يستطيع كل من يقرؤهما بتمعن إدراكَ أن القصة الأولى بينهما تنتمي إلى التقليد التثنوي، في حين تنتمي الثانية إلى التقليد الكهنوتي.

فبحسب تكوين ١٥، يتحدث الرب (يهوه) مع أبرام في رؤيا، ويعده بأن يكون ترسًا له وأن يكافئه مكافأة كبيرة جداً (آ ١). وبالتالي، فهذه القصة تتبنّى من بدايتها مفهومَ المجازاة، أو الثواب والعقاب، أي المفهوم الشرطي. وبحسب القصة، يقوم

أبرام بتحدي وعد الرب ذلك له بأنه لم يعطه ابنًا ليرثه؛ الأمر الذي يتجاوب معه الرب بأن يَعِدَ أبرام بأن يرثه ابنٌ يخرج من أحشائه (آآ٢-٥). وتعلن القصة بأن أبرام يتجاوب مع ذلك الوعد بالإيمان، وهي الاستجابة التي يحسبها الرب له برًّا، أي يكافئه عليها، ويعده بالتالي بأن يمنحه أرض كنعان (آآ ٦-٧).

وهنا يتحدى أبرام الرب مرة أخرى، ويطالبه بأن يثبت له وعده بمنحه أرض كنعان؛ الأمر الذي يستجيب له الرب باعتماد ممارسة كانت شائعة عند قطع المواثيق بين الملوك في الشرق الأدنى القديم، كما كان الناس يستخدمونها ليعلنوا مسؤوليتهم تجاه الآلهة في الشرق الأدنى القديم (إر ٣٤: ١٨)، وهي شق حيوانات إلى نصفين والعبور في وسطها (تك ١٥: ٨-١٧).

أما في تكوين ١٧، فإننا نجد قصة أخرى مختلفة بشكل كبير عن القصة الموجودة في تكوين ١٥ للعهد الذي يقطعه الله مع إبراهيم. فبحسب تكوين ١٧، يظهر الله (إلوهيم) لأبرام ويعده بأن يقطع معه عهدًا ويجعله أبًا لجمهور من الأمم (وليس أمة واحدة) ويخرج منه أممًا وملوكًا، ويقيم عهده الأبدي مع نسل أبرام، الذي يغيّر اللهُ اسمَه هنا إلى إبراهيم، ويكون إلهًا لذلك النسل، بأممه الكثيرة، ويعطي ذلك النسل، بأممه الكثيرة، أرض كنعان ملكًا أبديًا (تكوين ١٧: ١-٨). وبحسب تكوين ١٧، فإن الاستجابة الوحيدة التي يتجاوب فيها إبراهيم مع ذلك الوعد هي بالسقوط على وجهه بصمت كامل أمام الله (آ ٣). وتعلن القصة بأن الله يحدد الختان في اليوم الثامن كعلامة للعهد الذي يقطعه مع إبراهيم، على أن يشمل الختان الغريبَ النازل والعبدَ المقيم عند إبراهيم جنبًا إلى جنب مع من هم من بيت إبراهيم (آآ ٩-١٤).

لا بد لنا من أن نشير هنا إلى أن اتخاذ الختان كعلامة للعهد الذي يقطعه الله هو أمر بالغ الأهمية في تأكيد طبيعة النعمة لذلك العهد. فالختان كان ممارسة شائعة لدى مختلف شعوب منطقة الشرق الأدنى القديم. وبالتالي، فاللّه يعطي في هذا النص معنًى روحيًا ولاهوتيًا ودينيًا لممارسة اجتماعية تقليدية، ويشمل

بذلك جميع شعوب منطقة الشرق الأدنى. والختان هو عملية لا يمكن عكسها، أو على الأقل لم يكن ذلك ممكنًا في العصور القديمة، في تعبير عن أبدية عهد النعمة مع الله. كما أن تطبيق الختان عندما يكون الطفل بعمر ثمانية أيام هو تعبير عن نعمة الله من جهة، وعن إيمان الوالدين من جهة أخرى، في حين أن الطفل هو مجرد متلقي غير فاعل في أبلغ تعبير عن النعمة.

تكوين ١٥	تكوين ١٧
١ . يهوه يعقد ميثاقًا مع أبرام	١. إلوهيم يقطع عهداً مع إبراهيم
٢. ميثاق مشروط	٢. عهد نعمة غير مشروط
٣. مفهوم المجازاة (أجر (مكافأة))	٣. غياب مفهوم المجازاة
٤. أبرام فاعل جداً في القصة	٤. الله هو الطرف الفاعل الوحيد في حين أن إبراهيم يكون متلقيًا
٥. الميثاق محصور بالابن الموعود الذي ينتظر ميلاده	٥. العهد يذكر سارة، ويشمل إسماعيل حتى قبل ولادة إسحاق، كما يشمل كل بيت إبراهيم والغرباء المقيمين في بيته
٦. أبرام يتجاوب مع وعد الرب بالإيمان؛ الأمر الذي يكافئه الرب عليه بأن يحسبه له برًّا	٦. أبرام يشكك في وعد الله، لكن الله يتعامل مع ذلك بالنعمة وإعادة التأكيد على وعده، دون نسيان الوعد ببركة إسماعيل أيضًا
٧. يتضمن وعوداً ضد الأمم الأخرى	٧. لا يتضمن أيَّ وعود ضد الأمم الأخرى
٨. علامة هذا الميثاق هي ممارسة شائعة في الشرق الأدنى القديم في ذلك الوقت	٨. الختان هو علامة للعهد وليس شرطاً له. وهو ممارسة كانت شائعة ومنتشرة لدى مختلف شعوب الشرق الأدنى القديم
	مقارنة بين العهد في تكوين ١٥ وتكوين ١٧

يظهر بوضوح مما سبق أن التقليد الكهنوتي يؤكد بأن العهد الذي يقيمه الله مع إبراهيم هو عهد نعمة يشمل العبد كما الحر، والغريب كما مولود البيت، ويشمل كلَّ الأمم التي تنتمي إلى إبراهيم، ويشمل إسماعيل حتى قبل أن يولد إسحاق. ويؤكد التقليد الكهنوتي بأن ذلك العهد هو عهد نعمة، حين يحدد الختان في اليوم الثامن لحياة المولود، في إعلان صريح بأن العهد يشمل الإنسان دون أن يدرك الإنسان أي شيء.

لكن لا بد لنا من أن نشير هنا أيضًا إلى أنه حتى في حالة قصة الميثاق التي تنتمي إلى التقليد التثنوي في تكوين ١٥، ورغم امتلاك ذلك الميثاق لكل عناصر العهود المشروطة والمتبادلة، فالله هو من يتخذ المبادرة في بداية القصة (تك ١٥: ١)، والله وحده هو من يسير بين الحيوانات المقطعة دون إبراهيم (آ١٧)، في إشارة لتحمل الله وحده لمسؤولية ذلك الميثاق. وبالتالي، فقصة عهد الله مع إبراهيم تؤكد، حتى في أقصى صورها شرطيةً، وجودَ نعمة الله ومركزية نعمة الله والحاجة إلى تلك النعمة، التي لا يمكن للإنسان أن يحيا من دونها.

٤. العهد الجديد في العهد القديم

تشير عدة نصوص في أسفار الأنبياء، وعلى رأسها وأوضحها إرميا، إلى "عهد جديد" يقيمه الله مع شعبه (إش ٤٢: ٦؛ ٤٩: ٦-٨؛ ٥٥: ٣؛ ٥٩: ٢١؛ ٦١: ٨؛ إر ٣١: ٣١-٣٤؛ ٣٢: ٤٠؛ ٥٠: ٥؛ حز ١٦: ٥٩-٦٣؛ ٣٤: ٢٥؛ ٣٧: ٢٦؛ هو ٢: ١٨)، حيث سيتمتع شعب الله بعهد سلام أبدي تشارك فيه بقية الأمم (إش ٤٢: ٦؛ ٤٩: ٦؛ ٥٥: ٣-٥؛ إر ٣٥: ٥-٨؛ ٣٢: ٣٧-٤٠؛ حز ٣٤: ٢٣؛ ٣٧: ٢٤-٢٨؛ زك ٢: ١١؛ ٨: ٢٠-٢٣؛ ١٤: ١٦...)

ومن الملفت للنظر أن إر ٣١: ٣١-٣٤ ترسم عدم استمرار واضح بين العهد الجديد وبين العهد القديم في سيناء. فليس هناك تقريبًا أي تشابه مع العهد في سيناء. فالعهد الجديد هو أيضًا عطية من الله. لكن هذا العهد لا يتضمن أي خلفية تاريخية له، ولكنه يركز على الأفعال "المستقبلية" لله، والتي لا تتضمن الأمور التقليدية من أرض وغنى وحياة طويلة وصحة. البعد الرئيسي في وعود العهد

الجديد في إر ٣١: ٣١-٣٤ هو "المغفرة" وإصلاح العلاقة المكسورة بين الإنسان والله. ولا يتضمن العهد أي قسم، بركات أو لعنات، أو شهود. كما أنه لا يتضمن أي من الممارسات والطقوس التقليدية التي ترافق ابرام العهود. ولا يتضمن العهد الجديد أية تعليمات أو محظورات، لأن التوراة ستكون مكتوبة على قلوب شعب الله، عوضاً عن لوحي حجر.

خاتمة

مفهوم "العهد" هو مفهوم أساسي في العهد القديم، الذي يبني على "معاهدات" الشرق الأدنى القديم ليرسم عدة عهود بين الله والإنسان. تلك العهود المختلفة في العهد القديم تعلن بأن العلاقة بين الله وشعبه يجب أن تتميز أو تتمتع بالحصرية. لكن تلك الحصرية لا تعني حصر الله بشعب معين، كما أسيء فهمها، ولكنها تعني حصر الشعب بالله وحده؛ أي عدم قبول وجود أي إله آخر إلى جانب الله، في اتباع للنموذج الذي تفرضه المعاهدات بين الملك المسيطر والملك الخاضع، والتي كانت تفرض حصرية خضوع الملك الخاضع للملك المسيطر وحده. وبالتالي، فعلى العكس من الوضع الشائع في الشرق الأدنى القديم، الذي يسمح بتعدد الآلهة، يطالب العهد القديم بعد تطور مفهوم وحدانية الله، كما ذكرنا في الحلقة الخاصة بالله في العهد القديم، الشعب بالالتزام بعلاقة حصرية بالله، الإله الحقيقي، وحده.

العهود مع الله في العهد القديم تضع الأرضية التي يجب أن يؤسس الإنسان حياته عليها ويفهمها على أساسها في "أمانة" الله، وتضع الإنسان أمام "مسؤولية" الالتزام بعلاقته بالله كما أن العهود مع الله في العهد القديم تقدم "الهدف" و"المعنى" الحقيقي للحياة، على أنه أن يتمتع الإنسان بملء الحياة مع الله، ويعيش كرسول وشاهد لله لكل الخليقة.

وذلك هو التحدي الذي يضعه مفهوم "العهد" في العهد القديم أمامنا اليوم. فهذا المفهوم يدعونا لنفهم علاقتنا بالله كعلاقة عهد وإلتزام، مؤسسين

على مبادرة الله وأمانة الله، لا على استحقاقنا نحن. وهذا المفهوم يدعونا لنعيش حياتنا على أساس تلك العلاقة. وهذا المفهوم يدعونا لنستجيب لدعوة الله لنا لنتمتع بملء الحياة، ولنكون شهودًا أُمناء لإلهنا وللأخبار السارة معه لكلّ من وما حولنا.

المراجع

https://www.britishmuseum.org/collection/object/W_1888-1013-65

Barrick, William D.
2007 'New Covenant Theology and the Old Testament Covenants,' The Master's Seminary Journal 18/1, 165-180.
Bautch, Richard J.
2009 'An Appraisal of Abraham's Role in Postexilic Covenants,' The Catholic Biblical Quarterly 71/1, 42-63.
Beals, J. Duane
2014-2015 'The Covenant of Sinai,' Reflections (Mishawaka) 16-17, 21-25.
Blackburn, W. Ross
2017 'Keep Them from Idols: The Education of Children Takes Generations of Fidelity,' Touchstone: A Journal of Mere Christianity 30/2, 31-37.
Blois, Isaac D.
2020 'Formulas for (Dis)Honorable Installation in Deuteronomy 26:19 and 28:37: The Honorific Implications of Israel's Covenant (Un) Faitfulness,' The Catholic Biblical Quarterly 82/2, 381-406.
Brown, William P.
1996 'The Character of Covenant in the Old Testament: A Theocentric Probe,' The Annual of the Society of Christian Ethics, 283-293.
Dulles, Avery R.
2005 'The Covenant with Israel,' First Things 157, 16-21.
Foster, Stuart J.
2010 'The Missiology of Old Testament Covenant,' International Bulletin of Missionary Research 34/4, 205-208.
Ghantous, Hadi

2013 The Elisha-Hazael Paradigm and the Kingdom of Israel: The Politics of God in Ancient Syria-Palestine, (BibleWorld, Durham: Acumen).
Gillingham, Susan
2015 'Psalms 90—106: Book Four and the Covenant with David,' European Judaism 48/2, 83-101.
Goldingay, John
2000 'The Significance of Circumcision,' Journal for the Study of the Old Testament 25/88, 3-18.
Harman, Allan M.
2014 'The Exodus and the Sinai Covenant in the Book of Psalms,' The Reformed Theological Review 73/1, 3-27.
Haste, Matthew
2013 'Your Maker is Your Husband: The Divine Marriage Metaphor and the New Covenant,' Puritan Reformed Journal 5/1, 15-28.
Hoffner, Harry A., Jr.
1997 'The Treaty of Tudḫaliya IV with Kurunta of Tarḫuntašša on the Bronze Tablet Found in Ḫattuša,' in William Hallo & K. Lawson Younger (eds.), The Context of Scripture, vol. 1: Canonical Compositions from the Biblical World (COS1), (Leiden – New York – Köln: Brill): 100-106.
Kerrigan, Michael
2017 'Battle of Kadesh,' Britannicaonline https://www.britannica.com/event/Battle-of-Kadesh
Kimball, Sara E., Winfred P. Lehmann & Johnathan Slocum
'Hittite Online: Lesson 7,' The University of Texas at Austin, Linguistic Research Center https://lrc.la.utexas.edu/eieol/hitol/70
Kitchen, Kenneth A.
1989 'The Fall and Rise of Covenant, Law and Treaty,' Tyndale Bulletin 40/1, 118-125.
1997 'Ramesses II: The Battle of Qadesh – The Poem, or Literary Record,' in William Hallo & K. Lawson Younger (eds.), The Context of Scripture, vol. 1: Canonical Compositions from the Biblical World (COS1), (Leiden – New York – Köln: Brill): 32-38.
Knott, Elizabeth
2016 'The Amarna Letters,' Heilbrunn Timeline of Art History, (The Metropolitan Museum of Art, Department of Ancient Near Eastern Art) https://www.metmuseum.org/toah/hd/amlet/hd_amlet.htm#:~:text=The%20Amarna%20Letters%20are%20a,%E2%80%931336%20B.C.)%20(22.9.

Mason, Steven D.
2007 'Another Flood? Genesis 9 and Isaiah's Broken Eternal Covenant,' Journal for the Study of the Old Testament 32/2, 177-198.
Mcaffee, Matthew
2015 'The Good Word: Its Non-Covenant and Covenant Significance in the Old Testament,' Journal for the Study of the Old Testament 39/4, 377-404.
Mendenhall, George & Gary A. Heiron
1992 'Covenant,' in David N. Freedman et als. (eds.), The Anchor Bible Dictionary, vol. 1. (London: Doubleday): 1179-1202.
Niehaus, Jeffrey J.
2013 'God's Covenant with Abraham,' Journal of the Evangelical Theological Society 56/2, 249-271.
Singer, Itamar
1997 'Treaty between Šuppiluliuma and Aziru,' in William Hallo & K. Lawson Younger (eds.), The Context of Scripture, vol. 1: Canonical Compositions from the Biblical World (COS1), (Leiden – New York – Köln: Brill): 93-95.
Smith, Mark S.
2007 "Your People Shall Be My People': Family and Covenant in Ruth 1.16-17,' Catholic Biblical Quarterly 69/2, 242-258.
Thompson, J. Arthur
1979 'Covenant (OT),' in Geoffrey W. Bromiley et als. (eds.), The International Standard Bible Encyclopedia, vol. 1 (Fully revised; Grand Rapids: William B. Eerdmans Publishing Company): 790-793.
Weinfeld, Moshe
1975 'B'rit – Covenant vs. Obligation,' Biblica 56/1, 120-128.
Youngblood, Ronald F.
1979 'Amarna Tablets,' in Geoffrey W. Bromiley et als. (eds.), The International Standard Bible Encyclopedia, vol. 1 (Fully revised; Grand Rapids: William B. Eerdmans Publishing Company): 105-108.
Zimran, Yisca
2014 "The Covenant Made with David': The King and the Kingdom in 2 Chronicles 21,' Vitus Testamentum 46/2, 305-325.

لان الله لم يعطنا روح الفشل، بل روح القوة والمحبة والنصح

(٢تي ١: ٧)

القس سهيل سعود

يبين تاريخ الأشخاص الذين حققوا نجاحات كبيرة في حياتهم أنهم مروا بمراحل متعددة من الفشل. فالمخترع توماس أديسون فشل آلاف المرات، قبل أن يُكمل اختراعه لِلُمْبَة الكهرباء light bulb٠ أما لاعب كرة السلة المعاصر مايكل جوردن، فقد أخبرنا عن تاريخٍ من الفشل المتكرر قبل وصوله إلى النجومية في كرة السلة؛ فقال بكلماته « لقد أخطأتُ ٩٠٠٠ هدف، خسرت ٣٠٠ مباراة، ٢٩ مرة إعتمدوا عليّ لأسجل الهدف النهائي في المباراة فلم أنجح. لقد فشلت مراراً كثيرة في الحياة، ولم أستسلم، لهذا نجحت».

في رسالته إلى أهل غلاطية، يقول الرسول بولس إلى لكنيسة: «فلا نفشل في عمل الخير، لأننا سنحصد في وقته إن كنا لا نكل» (غل٦: ٩). في كثير من الأوقات نقوم بعمل الخير فنُنْتَقَد ويتّهمنا الناس باتهامات كثيرة، فنصاب بالإحباط والتعب والكلل النفسي والجسدي، الأمر المسبب لفشل الكثيرين من الناس. هذا الاختبار المؤلم مر فيه الرسول بولس، إذ أن الكثير من الناس (من الداخل ومن الخارج) حاولوا إفشاله، فاتهموه بشتى الاتهامات. اتهموه بأنه ليس رسولاً، لأنه لم يكن من بين تلاميذ المسيح الإثني عشر. اتهموه بأنه مثير للفتن والقلاقل، اتهموه أنه يشوه كلمة الله. لكن يقول بولس إلى كنيسة غلاطية، ولنا: «لا نفشل في عمل الخير، لأننا سنحصد في وقته إن كنا لا نكل» (غل ٦: ٩).

أعزائي القراء، لنتذكر في كل وقت نميل للاستسلام إلى الفشل، أن الله لم يمنحنا روح الفشل» بل كما يقول الرسول بطرس، «إن قدرته الإلهية قد وهبت لنا كل ما هو للحياة والتقوى» (٢بط ١: ٣) - آمين

تبْ فاغْلِبْ/ الرسالة إلى كنيسة اللاودكيين (رؤيا يوحنا ٣: ١٤- ٢٢)

القس مفيد قره جيلي*

مدخل

سفر الرؤيا هو أبوكاليبس (أي إعلان أو كشف) ضمن إطار رسالة نبوية، هذا يبدوا جلياً في مطلع السفر ١(: ٤- ٦، انظر أيضًا خاتمة السفر في ٢٢: ٢١ "نعمة ربنا يسوع المسيح مع جميعكم"). والحقيقة أن وضع السفر ضمن إطار رسالة يقربه نوعًا ما من باقي الرسائل في العهد الجديد (قارن مثلاً مع رومية ١: ١- ٧؛ ١كورونثوس ١: ١- ٣؛ ٢كورونثوس ١: ١- ٢؛ أفسس ١: ١- ٢؛ ابطرس ١: ١- ٢؛ يهوذا ١- ٢). ومن الطبيعي جدًّا أن تكون الرسالة موجهة إلى جهة/جهات معينة، لذلك ليس اعتباطًا أن يوحنا يحدد الكنائس التي يرسل إليها هذه الرسالة: "السبع الكنائس في آسيا،" والتي تُذكر بالاسم في ١: ١١ ("إلى أفسس، وإلى سميرنا، وإلى برغامس، وإلى ثياتيرا، وإلى ساردس، وإلى فيلادلفيا، وإلى لاودكية"). إن كتابة رسالة إلى كنائس محددة يعني حكمًا أن هذه الرسالة سوف تكون معنية بالدرجة الأساس بظروف هذه الكنائس السبع قبل أي وكل شيء، خاصة إذا علمنا أن سفر الرؤيا هو الأبوكاليبس المسيحي الوحيد الذي يتحدث بوضوح عن المكتوب إليهم، ويرسل إليهم تحيات افتتاحية (١: ٤- ٦) وينهي كلامه أيضًابتحية ختامية (٢٢: ٢١).[١]

---

* راعي في السينودس الإنجيلي الوطني في سورية ولبنان

١. David E. Aune, Word Biblical Commentary, Vol. 52, Revelation 1- 5 (Dallas: Word, Incorporated,1997), 40.

يحتوي الإعلان في هذا السفر على رسالة واضحة للكنائس الموجودة في آسيا، كنائس تعيش في حالة اضطهاد، والتي لها أن تفكر في منطق الأقليات المتقوقعة على ذاتها بأن كل ما يمكن أن تتمناه هو المحافظة على نفسها بأقل الخسائر، كنائس تشعر بالوحدة في عالم يبدو ظاهريًا أنه خارج عن السيطرة إذ يحكمه طغاة يعتبرونهم (أي الكنائس السبع) العدّو اللّدود. أي، هذه الرسائل السبع توضح كيف ينبغي أن تتصرف جماعة الإيمان عند الضيقات والآلام والظروف القاسية. وسنتناول في دراستنا هذا النموذج الأخير من الرسائل السبع، وهو الرسالة إلى ملاك كنيسة اللاودكيين.

التعريف عن المرسل والمرسل إليه (٣: ١٤)

إن المتكلم، وهو يسوع بحسب ما يخبرنا يوحنا، يعرف عن نفسه بأنه "الآمين، الشاهد الأمين الحق، بداءة خليقة الله." هنا يعرف المسيح عن نفسه بثلاثة ألقاب متميزة جدًّا: ١) الآمين، ٢) والشاهد الأمين الصادق، ٣) وبداءة الخليقة. بالنسبة للقب الآمين، لا يوجد في كل العهد جديد إشارة إلى يسوع على أنه: "الآمين،" فقط في سفر الرؤيا نجد هذه اللقب. وجاءت كلمة آمين، المستخدمة عادة في الصلوات الفردية أو الجماعية وفي ليتورجيا كل الكنائس، من الأصل الآرامي والتي تعني "الحق/حقًا" أو "هذا حق،" وتفيد المصادقة والتأكيد على صحة الكلام المسموع أو المنطوق. وتشير كلمة آمين أيضًا في سفر الرؤيا إلى أن يسوع المسيح هو الحق المطلق، هو الذي لا زيف ولا عيب ولا خداع فيه أو في كلامه. وهذا يتبع بتعبير "الشاهد الأمين الصادق" والذي يتماشى مع الفكر العام للعهد الجديد بأن يسوع المسيح هو الإعلان الكامل والصادق عن الله (راجع مثلاً يوحنا ١: ١، ١٤؛ فيلبي ٢: ٦؛ عبرانيين ١: ١– ٤).

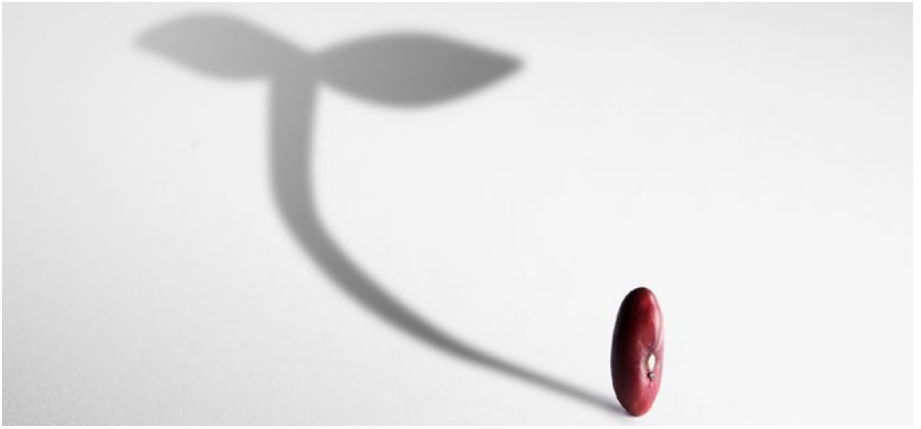

أما بالنسبة للقب الأخير "بداءة خليقة الله،" فيمكنا أن نبين هنا أن الكلمة التي تُرجمت "بداءة" هي في اللغة اليونانية هي ARKHE والتي تعني أيضًا: رأس أو سبب (أي أصل الخليقة أو سببها) [٢]. والحقيقة أن الترجمة إلى "رأس/سبب" تنسجم أكثر من كلمة "بداءة" مع سياق النص وسياق سفر الرؤيا بالعموم. فسفر الرؤيا يعطي يسوع ملكات الله وصفات موجودة في جوهر الله، ولا يضعه أبدًا في مصاف الخليقة. أي لا يمكن أن تفهم هذه العبارة بأن يسوع هو أول خلق الله، بل هو أصل/ أساس الخليقة أو سبب وجودها. لا يمكن أن نفهم كلمة "بداءة" هنا إلا في سياق "الألف والياء" و"البداية والنهاية،" الذين يُنسبا في سفر الرؤيا لله **(1: 8)** وللمسيح **(1: 11)**، أي كما أن الله هو البداية والنهاية، هكذا أيضًا المسيح هو البداءة/ البداية والنهاية/ الرأس والسبب.

حالة كنيسة اللاودكيين (3: 15- 18)

يُبيّن يوحنا أن المسيح يرى كنيسة اللاودكيين الكنيسة الأكثر بعدًا عنه والأكثر انحرافاً من بين الكنائس السبع التي يخاطبها يوحنا في سفره هذا. على الأقل هذا

---

٢. Aune, Revelation 1-5, 256

ما يمكن أن نستدل عليه من خلال كلمات الرسالة الموجّهة إلى اللاودكيين، فلا يوجد إشارة إلى أي عمل صالح أو خصلة إيجابية موجودة في هذه الكنيسة، بعكس الكنائس التي يسبق ذكرها ذكر كنيسة اللاودكيين، فحتى في كنيسة ساردس نجد أن هناك أسماء قليلة لم يُنَجِّسُواثيابهم (٣: ٤)، لكن هنا لا نجد إشارة ولو حتى إلى قلة قليلة محافظة على الإيمان.

إن تفاصيل وصور الخطاب القاسي الموجّه إلى هذه الكنيسة مستوحاة من الواقع الجغرافي والاجتماعي والاقتصادي الذي كانت تعيشه هذه الكنيسة. وحتى في الدعوة إلى التوبة ونداء يسوع ليفتحوا الباب لَهُ من وحي الواقع الجغرافي والاقتصادي الذي كان اللاودكيون يعيشون فيه.

الفتور والواقع الجغرافي (٣: ١٥- ١٦)

دعونا نوضّح أكثر، يشير يوحنا في العددين ١٥- ١٦ إلى حالة الفتور التي في كنيسة لاودكية ("أَنَا عَارِفٌ أَعْمَالَكَ، أَنَّكَ لَسْتَ بَارِدًا وَلاَ حَارًّا. لَيْتَكَ كُنْتَ بَارِدًا أَوْ حَارًّا! هكَذَا لأَنَّكَ فَاتِرٌ، وَلَسْتَ بَارِدًا وَلاَ حَارًّا، أَنَا مُزْمِعٌ أَنْ أَتَقَيَّأَكَ مِنْ فَمِي")، تُرى ما المقصود بهذه الكلمات؟ عمّ يتكلم يوحنا هنا؟ إن هذه العبارة هي من أكثر العبارات التي يستخدمها الوعّاظ لكي يبعثوا روح الحماس في حياة الكنائس وفي حياة خُدّامها، وهي من أكثر نصوص الكتاب المقدس استخدامًا من قبل الوعّاظ والمبشرين ليطالبوا من يعتبرونهم مسيحيين اسميين فاترين، يطالبون الذين لا حماس فيهم ولا نشاط وربما لا يملكون النزعة التبشيرية، يطالبونهم بالتوبة والتيقظ. فالمسيح، بحسب هذا الطرح وهذا المدخل لتفسير الفتور، يشمئز من هكذا مسيحيين وهو يرغب في أن يتقيأهم من فمه. إن الفكرة التي تحكم هذه العظات هي أن المسيح كان يفضل أن نكون غير مسيحيين أو ملحدين من أن نكون

مسيحيين اسميين ودون فاعلية.

من حيث المبدأ، لا أجد عيبًا في هذه الفكرة، فعدمُ كوني مسيحياً خير من إدّعائي المسيحية وأنا بعيد عن قيمها. لكن الإشارة إلى أبناء كنيسة لاودكية بأنهم فاترين يمكن أن يفهم بشكل أفضل عندما نعرف الواقع الجغرافي الذي كانت تعيشه مدينة لاودكية بسبب قربها من مدينتي هيرابوليس وكولوسي، فقد كانت في موقع متوسط بين هيرابوليس وكولوسي ولا تبعد عن كل منهما سوى بمسافة ١٠ كم تقريباً. تفيد المعلومات التاريخية بأن ينابيع كبريتية ساخنة تواجدت بجوار مدينة هيرابوليس، ينابيع يقصدها الناس لأغراض استطبابية، وبينما تواجدت في مدينة كولوسي ينابيع باردة عذبة نقية لها مذاق خاص ولها شهرة في ذلك الوقت، كانت مدينة لاودكية تعاني من تأمين مياه الشرب فكانوا يجرون لها المياه عبر أنابيب من ينابيع مختلفة، لتصل إلى مدينة لاودكية فاترة في فترة الصيف بحيث لا يستلذّ الناس بها. إن الإشارة إلى الفتور الموجود في كنيسة لاودكية مستوحى من هذا الواقع الجغرافي. يسوع يقول لأبناء كنيسة لاودكية أنهم بالنسبة له يشبهون مياههم التي لا طعم لها.

الفتور والواقع الاقتصادي (٣: ١٧- ١٨)

والسؤال هنا: هل حالة الفتور هذه كان لها علاقة بعدم دفء المشاعر والحماس أثناء الصلاة أو التسبيح عند اللاودكيين زمن كتابة سفر الرؤيا؟ الجواب ببساطة: كلا. فكلمات المسيح الموجهة إلى كنيسة لاودكية بحسب سفر رؤيا ٣: ١٧- ١٨ تشير إلى حالة كانت تخص كنيسة لاودكية، فما هي هذه الحالة؟

يكتب يوحنا في العدد ١٧ أ: "لأَنَّكَ تَقُولُ: إِنِّي أَنَا غَنِيٌّ وَقَدِ اسْتَغْنَيْتُ، وَلاَ حَاجَةَ لِي إِلَى شَيْءٍ، وَلَسْتَ تَعْلَمُ أَنَّكَ أَنْتَ الشَّقِيُّ وَالْبَئِسُ وَفَقِيرٌ وَأَعْمَى وَعُرْيَانٌ.".

إن حالة الفتور في كنيسة لاودكية مرتبطة أساسًا بالحالة الاقتصادية التي كان يعيشها اللاودكيين والتي كما يبدو كان لها أثر على أبناء الكنيسة. دعونا نوضح أكثر، إن الدراسات التاريخية لحالة مدينة لاودكية تظهر غناها، فقد كانت هذه المدينة معروفة ببنوكها، وبالتالي كان لديهم نقد وذهب احتياطي لا يستهان به. يحكى أنه في سنة ٦٠ م تعرضت المدينة إلى زلزال عنيف أدى إلى دمار المدينة، وكان أن الإمبراطور الروماني نيرون عرض أموالاً ضخمة لإعادة بناءها، لكن المدينة رفضت وأعادت بناء ذاتها بالاعتماد على إمكانياتها المحلية. إن هذه لحالة نادرة في الماضي والحاضر، وتشير إلى الثراء الفائق ("ولا حاجة لي إلى شيء"). كما كانت مدينة لاودكية معروفة بأنها أفضل من كان يصنع القماش والملابس في كل آسيا إن لم يكن في كل الإمبراطورية الرومانية، وكان سكانها أفضل من يلبس في كل آسيا الصغرى. وأخيرًا، كانت مدينة لاودكية متقدمة طبياًا ففيها مدرسة طبيّة متطورة في ذلك الوقت، وخاصة على مستوى طب العيون، حتى أنهم طوّروا مرهم طبي للعيون كان له سيط واسع.

إذًا، تمتعت وافتخرت مدينة لاودكية بالثراء والتقدم في مجالات صناعة المنسوجات والملابس والطب خاصة على مستوى العيون. هذا يعني التنعم بأمن اقتصادي وطبي منيعين، لقد كان لها أن تفخر بأنها لم تقبل المساعدات من روما لإعادة البناء. كانت مدينة لاودكية تعيش بفخر هذه الكلمات التي يذكرها يوحنا عن الكنيسة التي فيها: " لأَنَّكَ تَقُولُ: إِنِّي أَنَا غَنِيٌّ وَقَدِ اسْتَغْنَيْتُ، وَلاَ حَاجَةَ لِي إِلَى شَيْءٍ ." لذلك نخلص إلى أن حالة الفتور التي كانت تميز كنيسة لاودكية لم تكن بسبب عدم الحماس أثناء الاجتماعات والصلوات والتسبيح، بل لأن أبناء الكنيسة كانوا هم أيضًا لاودكيين بمعنى أنهم كانوا يعتمدون على مناعتهم الاقتصادية والطبية ويفتخرون بأنهم لا يتحاجون إلى شيء.

كما يبدوا أن أبناء كنيسة لاودكية كانوا من المساومين للمنظومة التي فرضتها روما على هذه المدينة وعلى كل حوض البحر الأبيض المتوسط، لذلك استطاعوا أن يحافظوا على غناهم، لم يتعرضوا لعزلة من المجتمع المحيط لأنهم لم يواجهوا المجتمع المحيط وقيمه التي كانت تعطي المجد والكرامة وحق الألوهة والسيادة الكونية لروما والإمبراطور وليس لله ومسيحه، وذلك كان يعبر عنه بطرق عدة أهمها في سياق سفر الرؤيا هو الشركة مع الولائم الوثنية والأكل مما هو مذبوح للأوثان، الأمر الذي اعتبر في سفر الرؤيا ولاءً لروما والإمبراطور على حساب الله ومسيحه. وربما هذا ما يبرّر أن الرسالة ليست موجهة إلى ملاك كنيسة لاودكية أو إلى ملاك الكنيسة التي في لاودكية كما هو الحال مع الكنائس الست التي سبقتها (مثلاً: "اكتب إلى ملاك كنيسة أفسس")، بل "إلى ملاك كنيسة اللاودكيين،" وكأن المسيح يريد أن يبين أنها ليست كنيسته، بل هي كنيسة اللاودكيين؛ الخاضعين لروما وليس له. لقد كانوا فاترين بسبب غناهم واستغناءهم.

لكن لم يرهم يسوع أغنياء، بل يقول لهم: " أَنَّكَ أَنْتَ الشَّقِيُّ وَالْبَئِسُ وَفَقِيرٌ وَأَعْمَى وَعُرْيَانٌ." فإذا كنتم تفتخرون بغناكم وبكميات الذهب التي لديكم وإذا كنتم تفتخرون بصناعة المنسوجات المتقدمة التي عندكم وبأنكم أفضل من ارتدى الملابس في كل آسيا الصغرى، وإذا كنتم تعتزون بالمرهم العيني الذي رغبه كل من له داء في عينه والذي كان نتاج التقدم الطبي الذي عندكم " أُشِيرُ عَلَيْكَ أَنْ تَشْتَرِيَ مِنِّي ذَهَبًا مُصَفًّى بِالنَّارِ لِكَيْ تَسْتَغْنِيَ، وَثِيَابًا بِيضًا لِكَيْ تَلْبَسَ، فَلاَ يَظْهَرَ خِزْيُ عُرْيَتِكَ. وَكَحِّلْ عَيْنَيْكَ بِكُحْلٍ لِكَيْ تُبْصِرَ." (٣: ١٨)، فلا ذهبكم ولا ثيابكم ولا تقدمكم الطبي يغنيكم عني أنا المسيح.

إن في هذه الكلمات نصيحة من يسوع نفسه بأن تستيقظ كنيسة لاودكية وتذكر أن المسيحي الحقيقي هو ذلك الذي يتضع أمام الله ويتكل عليه في حياته على

كافة المستويات. هو لا يدينهم على غناهم، لكنه يدينهم لأن كل أبناء كنائس أفسس وسميرنا وبرغامس وثياتيرا و(البعض في) ساردس وفيلادلفيا كانوا قادرين أن يغتنوا، كما كان كل عضو في هذه الكنائس قادرًا على التمتع بميزات مدنهم في حالة خضوعهم لروما على حساب اسم المسيح، لكنهم رفضوا أن يساوموا، وفضلوا الفقر والحصار والعزل وحتى الموت على المساومة على اسم المسيح. أما الخزي الذي في أبناء كنيسة لاودكية، حالة الفتور التي في كنيسة لاودكية كانت بسبب المساومة على اسم المسيح، لقد هربوا من الثمن الذي قد يدفعه المؤمن في أزمنة الضيق متحصنين بالمال وليس بالمسيح، رضوا بأن يقدموا الولاء لروما والإمبراطور على حساب الولاء لله والمسيح، لذلك يدعو المسيح "الآمين، والشاهد الأمين الصادق" هؤلاء غير الأمناء مرة أخرى إلى الغنى الحقيقي، واللبس الأبيض الطاهر بحق، وإلى أن يكون عندهم حسن البصيرة بحق.

دعوة إلى التوبة (٣: ١٩- ٢٠)

يَعْلَمُ الرب يسوع أنّ الرسالة كانت قاسية على أبناء كنيسة لاودكية. لذلك يؤكد لهم على هذه الحقيقة: "إني كل من أحبه أوبخه وأؤدبه" (٣: ١٩ أ). يعود يوحنا

هنا باللاودكيين إلى سفر الأمثال ٣: ١١- ١٢ " يَا ابْنِي، لاَ تَحْتَقِرْ تَأْدِيبَ الرَّبِّ وَلاَ تَكْرَهْ تَوْبِيخَهُ، لأَنَّ الَّذِي يُحِبُّهُ الرَّبُّ يُؤَدِّبُهُ، وَكَأَبٍ بِابْنٍ يُسَرُّ بِهِ." " (راجع أيضاً عبرانيين ١٢: ٦). ربما نجد في كلمات يسوع لكنيسة لاودكية قسوة شديدة، لكن هذه القسوة مجبولة بجبلة الحب والحنان الأبويين الذين هما في شخص يسوع تجاه كنيسته. يحزن المسيح ويغار على كنيسته فيطلب منها أن تكون غيورة وتتوب "فكن غيوراً وتب" (٣: ١٩.ب).

إن الغيرة التي يطالب فيها يسوع أبناء كنيسة لاودكية هي تلك التي كانت تسر قلبه عندما كان يجدها في الكنائس السابقة التي في عزّ ألمهما وضيقها ثبتت وصمدت وقاومت ولم تنكر اسمه. يريد من اللاودكيين أن يغاروا على اسمه كما كان هو أيضًا يغار عليهم، لأن حالة المساومة التي عاشوها، حالة الخلطة مع الولائم الوثنية والأكل مما هو مذبوح وتقديم الولاء لقيصر على حساب الولاء للمسيح، وتناولهم الطعام مما هو مذبوح للأوثان، كل هذا حرم يسوع من العشاء معهم. لقد جعلت حالة الفتور عند أبناء كنيسة لاودكية يسوع يخرج خارج الكنيسة، هو يريدهم أن يغاروا عليه ويتوبوا لأنه يقول باشتياق شديد لعروسه: " هَنَذَا وَاقِفٌ عَلَى الْبَابِ وَأَقْرَعُ. إِنْ سَمِعَ أَحَدٌ صَوْتِي وَفَتَحَ الْبَابَ، أَدْخُلُ إِلَيْهِ وَأَتَعَشَّى مَعَهُ وَهُوَ مَعِي." (٣: ٢٠). فأن يكون لك شركة مع إله آخر، يعني أنك طردت يسوع خارج منزلك أو كنيستك.

دعوة إلى الغلبة (٣: ٢١- ٢٢)

كما في كلّ من الرسائل الست للكنائس السابقة، هنا أيضًا يتحدث يوحنا عن أن المسيح يعد بالبركة لمن يغلب. بعد الدعوة إلى التوبة، يدعو يسوع التائب إلى غلبة. ويعد يسوع ههنا ببركة غير عادية، وهي الجلوس معه في العرش. فإن غلبة يسوع وجلوسه على العرش ليست أمرًا حصريًا، بل هي شيء يمكن أن يمتد

إلى أتباعه، بل أكثر من هذا، على أتباعه أن يغلبوا هم أيضًا. من الرائع أن اللازمة الختامية والتي نجدها في الرسائل الموجهة إلى الكنائس الست السابقة ("من يغلب")، هي نفسها اللازمة الختامية التي نجدها هنا في الرسالة إلى كنيسة لاودكية أيضًاحتى وإن كانت هذه الكنيسة في حالة غير مرضية بالمطلق. فمادام طريق التوبة مفتوح، لا شك أن طريق الغلبة مفتوح أيضًا.

بل إن ما يبهر هنا هو أن هذه الكنيسة الأكثر انحرافاًا هي من يبقي يسوع يقرع على بابها ليعيدها إلى حياة الشركة معه ("هَنَذَا وَاقِفٌ عَلَى الْبَابِ وَأَقْرَعُ. إِنْ سَمِعَ أَحَدٌ صَوْتِي وَفَتَحَ الْبَابَ، أَدْخُلُ إِلَيْهِ وَأَتَعَشَّى مَعَهُ وَهُوَ مَعِي."قد ينحرف المؤمن أو جماعة المؤمنين عن مسار المسيح عند الخطوب، كما حدث تمامًا مع اللاودكيين، معتمدين في أمنهم على ما لقيصر وليس على ما لله، لكن المسيح لن يتركهم كما لم يترك اللاودكيين، بل يقف على الباب ويقرع ويطلب الشركة مع المبتعدين عنه لأن " لاَ يَحْتَاجُ الأَصِحَّاءُ إِلَى طَبِيبٍ بَلِ الْمَرْضَى (مرقس ٢: ١٧)، "وَلكِنْ حَيْثُ كَثُرَتِ الْخَطِيَّةُ ازْدَادَتِ النِّعْمَةُ جِدًّا."" (رومية ٥: ٢٠).

الخاتمة

إن حالة كنيسة لاودكية تشبه حالة كنائس كثيرة في أيامنا هذه. هناك كنائس تعتز بمؤسساتها ومدارسها وأموالها وأرصدتها في المصارف، بل إن هناك كنائس تعتز بأن لها أرصدة بالعملة الصعبة، والتي توازي عملة روما ("ما لقيصر") في أيام كتابة سفر الرؤيا. كثيرة هي الكنائس اليوم التي تنظر إلى نفسها بأنها غنية، وأن لها مداخيل شهرية وسنوية كبيرة، وتقول في نفسها كما ملاك كنيسة اللاودكيين: "إِنِّي أَنَا غَنِيٌّ وَقَدِ اسْتَغْنَيْتُ، وَلاَ حَاجَةَ لِي إِلَى شَيْءٍ ". هذه الكنائس تشترك مع كنيسة لاودكية بأنها تركت يسوع خارج أبوابها وكأنه يستجدي الدخول:

("هنَذَا وَاقِفٌ عَلَى الْبَابِ وَأَقْرَعُ "). هذه الكنائس عليها أن تسمع توبيخ يسوع القائل: "أَنَا مُزْمِعٌ أَنْ أَتَقَيَّأَكَ مِنْ فَمِي ...أَنْتَ الشَّقِيُّ وَالْبَئِسُ وَفَقِيرٌ وَأَعْمَى وَعُرْيَانٌ"

وسط الأزمات، نجد كنائسًا أو جماعات تَدّعي الكنسية حرصت على أن ترفع أرصدتها في المصارف، وجعلت لها أرصدة بالعملة الصعبة لأن العملة المحلية غير ثابتة. أي لتحافظ هذه الكنائس على غناها، حولت أموالها إلى عملة الإمبراطورية، وبعضها قام بألاعيب محزنة لتزيد أرصدتها في المصارف. ما هو مؤلم أن هذه الكنائس تظن نفسها أنها غنية وقد استغنت ولا حاجة لها إلى شيء، لكنها فقيرة وبائسة كفاية لترى خزيها في أن الكثير من أبناءها يقتلهم المرض دون أن تستخدم أرصدتها في البنك لعلاجهم، ومات مسنون بسبب البرد دون استخدام أرصدتها لتدفئتهم، الكثير من عائلاتها خاصة الشابة منها هجروا ويهجرون البلد بسبب الفقر المرعب الذي يجتاح البلاد جراء الحرب والحصار والأزمات الاقتصادية الخانقة، وبقيت هذه الكنائس، أو لكي نميز أكثر، بقي ملائكة هذه الكنائس بحسب لغة سفر الرؤيا، واقفين يتفرجون بفتور يجعل المسيح يشمئز منهم ويتقيأهم من فمه. يقول يسوع لمثل هؤلاء: إنه خارج أسوار هذه الكنائس، ويستجدي الدخول.

نشكر الله في المسيح يسوع أنه يترك لنا دائمًا باب التوبة مفتوحاً، لكن باب التوبة هذا مفتوح لوقت، لأن يسوع قد يأتي أسرع مما نعتقد ليزحزح المنارة "... تب... وإلا فإني آتي إليك عن قريب وأزحزح منارتك" (٢: ٥)، كما حدث فعلاً مع كنائس كثيرة عبر التاريخ، وأتى يسوع وزحزح منارتها "ومن له أذن فليسمع ما يقوله الروح للكنائس" (٣: ٢٢). كما نشكر الله على الغلبة التي تأتي بعد التوبة، فالغلبة تنهي طريقة التفكير بمنطق الأقليات بأن تكتفي بحماية نفسها من الضياع والاندثار، بل ينقلها إلى الهجوم على أبواب الجحيم التي لن تقوى عليها، ومشاركة الآخرين بالقيم والمبادئ التي أنعم عليها الرب على أبناءه.

من ذاكرة النشرة

- تدشين كنيسة طرابلس الإنجيلية
- كلمة القس رشيد أنطونيوس
- ماذا علمتني الحياة

النشرة: عدد كانون الثاني ١٩٤٩

تدشين كنيسة طرابلس الانجيلية

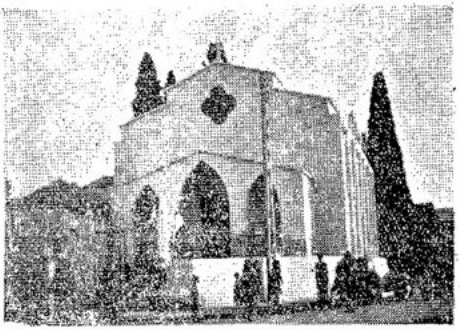

رسم راجي المقدسي

ربما ذكر قراء مجلة النشرة ما كتبه الاستاذ عبد الله حصني عن تدشين كنيسة

كنيسة انجيلية جديدة تنبعث في مدينة طرابلس وجرس جديد يقرع من برجها.

ايا صوفيا في احد اعداد النشرة فقد تساءل الاستاذ في آخر المقال، من سيدق جرس الكنيسة واسم من سينقش على عتبتها ؟

وقد جاء الجواب الاول في العاشر من نيسان سنة ١٩٤٨ عندما وُضع حجر الزاوية لتلك الكنيسة الجديدة التي انبعثت في احدى مدن لبنان العزيز فقد وضع عندئذ رئيس السنودس الحجر الاساسي لتلك الكنيسة.

وجاء الجواب الثاني يوم وزعت رقاع الدعوة عمدة كنيسة طرابلس تدعو الناس لحضور حفلة تدشين كنيستهم الجديدة عصارى يوم الاحد في ٢١ تشرين الثاني. فما ازفت الساعة الرابعة حتى غصّ المعبد بجموع المصلين الذين

جاءوا الى بيت الله وكان عددهم لا يقل عن ٥٠٠ شخص . وسارت حفلة التدشين حسب البرنامج المرتب في الوقت المحدّد وبدقة ونظام — واشترك في الخدمة رئيس السنودس القس ابرهيم داغر وامين السرّ القس جورج خوري ، ورئيس المجمع الاعلى للطائفة الانجيلية القس فريد عوده . والقى كلمة الارسالية الاميركية باللغة العربية الدكتور غرينسليد سكرتير الارسالية. وزاد في بهجة الخدمة جوق المرنمين بقيادة الاخ حنا النخو .

وبلغت تكاليف الكنيسة ما يقارب ٤٧ الف ليرة لبنانية ، منها ٢٤ الف ليرة جاءت كتعويض من البلدية عن الارض والبناء الذي كان يخص الارسالية الاميركية والباقي من تبرعات الطائفة وتقدمات أبناء الله الغيورين . ونحن نغبط طائفة طرابلس على هذا المجهود العظيم ، ونهنئهم على هذا المعبد الجديد الذي قال عنه رئيس السنودس انه يقوم على اربع زوايا : زاوية العبادة والشهادة والقيادة والخدمة والذي قال عنه رئيس المجمع الاعلى « البقعة التي فيها يعلو الانسان عن الارض وتفلت النفس من قيود المادة لانها تشعر ان الله في ذلك المكان .

وان ادارة النشرة تتقدم لطائفة طرابلس الانجيلية بالتهاني القلبية لتحقيق هذا المشروع النبيل ، وهي تقدر للقس رشيد انطونيوس مساعيه الجبارة للحصول على ذاك المعبد الجديد . واننا نسجل له هذا القول الذي جاء في غضون خطابه بكل اعجاب وتقدير فقد قال : ساكرس هذا المنبر لنشر روح الاخوة والحق وطاعة الله والحكومة . اخذ الله بيده ووفق المولى الرعية على نشر ملكوته والعمل لخير كنيسته .

لشكرستي المحبة للمناداة بالمحبة والاخوة والحق

كلمة القس رشيد انطونيوس

لدى تدشين كنيسة طرابلس في ٢١/١١/٦٨م

نشكر الله بكل شفةٍ ولسان لانه اعاننا فاكملنا بناء هذه الكنيسة المقدسة التي كرسناها اليوم لخدمته ، لخدمة اخواننا بني البشر .

والعبرة ليست في المكان ، بل بالسكان

العبرة ليست في الكنيسة ، بل بالساجدين فيها

العبرة ليست في المعبد ، بل بالذين يعبدون فيه

العبرة ليست في الجامع ، بل بالمصلين فيه .

جميع الاديان السماوية تعلم بان الجنة لا يدخلها سوى الطاهرين ، الصالحين ، الانقياء القلوب — طوبى للانقياء القلب لانهم يعاينون الله .

بيوت الله باجمعها مفرزة لعبادته ، مكرسة لخدمته ، ومقدسة بحضوره ، فبالاولى ان لا يدخلها سوى الصالحين ، القديسين الكاملين . هذا ما حدا السيد المسيح ان يقول : اذا قدمت قربانك الى المذبح وهناك تذكرت ان لاخيك شيئاً عليك فاترك هناك قربانك قدام المذبح ، واذهب اولاً اصطلح مع اخيك ثم تعال وقدم قربانك .

لقد اصبحت الكنيسة جديدة بعون الله ، ولائقة لعبادته ، ومن الضروري ان يتجدد اعضاؤها قلباً وقالباً اذ لا يليق قط ان تكون الكنيسة جديدة والذين يسجدون فيها غير متجددين . لقد اصبحت الكنيسة جديدة لذلك نجدد عهودنا لله

اولاً : بان نجعل من هذه الكنيسة منارةً تنير بواسطة تعاليم الانجيل المقدس — سبيل الكثيرين الى الخلاص المجاني الموهوب لنا من الله بالمسيح ، والى الحياة الفضلى ، والى التقوى والصلاح ،

والكمال .

ثانياً : نعاهد الله ان نكرّس هذا المنبر المنادا : **بالمحبة** . المحبة الشاملة العامّة : التي لا تعرف حدوداً، ولا لوناً ، ولا جنساً ، ولا لغةً ولا طائفةً ، ولا قوميةً ، ولا وطناً ، ولا حزباً ، ولا اسرةً ، ولا عشيرة .

المحبة المجانية، الخالية من الغرض ، المحبة التي نادى بها وعلّمها ، وعاشهـا السيد المسيح – الا وهي – محبة الله من كل القلب ، ومن كل الفكر ، ومن كل النفس ، ومن كل القـدرة ، ومحبة القريب كالنفس ، ومحبة العدوّ .

المحبة اصل الوجود – المحبة اعظم ما في العالم . المحبة سرّ سعادة البشرية . الله محبة . المحبة هي الله – ولا تسعد البشرية ولا يسود السلام في العالم الا متى اصبحت قلوب الناس عامرة بالمحبة .

ثالثاً : نعاهد الله ان نكرّس هذا المنبر المنادا **بالاخوّة** .

الاخوّة التي علمها المسيح في مثل السامري الصالح : من ترى صار قريباً للذي وقع بين اللصوص ، الذي صنع معه الرحمة . اذهب انت واصنع هكذا . انت اخي وانا اخوك احببت ام كرهت ، رضيت ام ابيت . لا يقدر احد ان يتنصّل من اخوّته لابناء جنسه، ولا ان يتكبّر على احدٍ فالجميع من طينةٍ واحدة .

فان يكن لهم في اصلهم شرفٌ

يفاخرون به فالطـين والماء

كل انسان في الوجود اخوك – واخوك الاقرب اليك هو الاكثر احتياجاً اليك ، فالاخ للشدة يولد .

كن اخاً حقيقياً لبني جنسك تجد اخواناً كثيرين يشدون ازرك ، فالمرء كثير باخوانه .

رابعاً : نعاهد الله ان نكرس هذا المنبر المنادا ، **بالحق** أجل – من هذا المنبر نجاهر بالحق ، وننناصر الحق، ونقاوم الباطل بكل ما أوتينـا من مواهب ، فالحق يسود والباطل يزهق ان الباطل كان زهوقاً .

الحق يعلو ولا يُعلى عليه ، الحق حبيب الله ، فلنقدّس الحقّ في اقوالنا ، وفي شهاداتنا ، وفي معاملاتنا ، وفي احكامنا ، وفي حياتنا جملةً ، لقد دفنوا الحق في قبر وضبطوه بالحراس لكن

الحق بُعثَ من قبره في اليوم الثالث – وهو حي لا يموت ولن يموت ابداً – بهذا الحق ننادي من هذا المنبر .

خامساً : نعاهد الله ان نكرس هذا المنبر للمناداة – **بطاعة الله والحكومة** يجب ان يُطاع الله اكثر من الناس ، الطاعة لله افضل بكثير من تقديم الذبيحة ، ليكن الله راضياً ولو غضب كل الناس .

لتكن ارادة الله اولاً . لتكن مشيئته . لا يمكن ان يسود السلام في ارضنا الا عندما تُنفذ ارادة الله عليها ، كما تُنفذ في السماء .

ليكن هذا شعارنا . واجبي ان اطيع الله اولاً واعمل من اجله ومن اجل وطني .

ومن هذا المنبر ننادي بما نادى به بولس الرسول فيلسوف النصرانية : لتخضع كل نفس للسلاطين الفائقة . لان ليس سلطان الا من الله والسلاطين الكائنة هي مرتبة من الله ، ومن يقاوم السلطان يقاوم ترتيب الله . وما كتبه لتلميذه تيطس : ذكرهم ان يخضعوا للرياسات والسلاطين ويطيعوا ويكونوا مستعدين لكل عمل صالح .

وفقنا الله لنكرّس نفوسنا ، وكنيستنا ، ومنبرنا لخدمته . وذلك بخدمة اخواننا في البشرية .

كتاب الام

اقترح الاريحي الغيور السيد وديع ابي سمره على طائفة من ارباب الزجل اللبناني نظم بعض الاناشيد الرقيقة التي تظهر عاطفة الامومة ، فبانت مجموعة من هذه المنظومات الزجلية الممتازة .

وقد تبرع بطبعها على نفقته المعلم خليل اسعد سركيس فاصبح في الميسور توزيعها مجاناً لغرس حب الام في قلوب الجميع ، ورفع شأن الامومة واظهار روح الوفاء والاخلاص لها . وقد ذيل الكتاب السيد الياس يوسف حاطوم بمقال جميل عن الامومة والبنوة بلغة عذبة رقيقة . فادارة النشرة تتقدم بالشكر الجزيل لهؤلاء الغيورين على خدمتهم الكريمة وعملهم النبيل .

استفتاء تقدم به الى قراء النشرة

ماذا علمتني الحياة ؟

علمتني الحياة خمسة امور :

الاول : انني لست وحيداً في هذه الدنيا ، ولست وليد صدفة عابرة لا ترتبط بقوانين ارضية او روابط روحية . واختبرت منذ طفولتي ان عين الله ترعاني ، ويد القدير تعتني بي . وقد دعاني هذا الاختبار ان لا افقد الرجاء لان الهي حي ...

الثاني : وعلمتني الحياة ان انتهز الفرص لان الايام تقدّم للجميع بعض اللحظات التي ان انتهزت غيّرت مجاري الحياة واقامت فاصلاً بين العهد القديم والجديد . ولست اشك في ان كل امرىء قد لاحظ مثل هذه الفرص السانحة والدقائق الفاصلة في مجرى حياته .

الثالث : وعلمتني الحياة ان اكتسب الاصدقاء ، واكثر من الخلاّن الاوفياء . وما اجمل ان يرى المرء من يفرح لفرحه ومن يتألم لالمه . وما احلى ان تكون انت وجارك على الايام فتهون مصائب الزمان وتتبدّد قسوة الالام .

الرابع : وعلمتني الحياة ان أومن ان الخير سينتصر ، وان العدل الالهي سيسود . فانا لا اقنط ساعة ارى الاشرار ينتصرون لاني موقن ان الهاً عادلاً يجلس في سمائه يحمل قسطاس العدل بيمينه ومن شانه تصحيح النظرات الخاطئة وهو لا يرضى بحكم الاشرار وبسيادة دولة الشر .

الخامس : وعلمتني الحياة ان ابتسم للدنيا ، وان اسير فيها بروح اليمن والفأل الحسن . لذلك فانا اتطلع اليها بانظار التفاؤل فارى جمالها الشامل وخيرها الدفين

٥١٠

١

كان يا ما كان

› المحك

المِحَكّ

القس سليم فرح*

كان قرعُ البَابِ آخرَ ما يتمنَى أفرادُ الأسرةِ سماعَهُ تلكَ الأُمسية. فقد شَنُّوا، طوال التزامِهم بحجرهم المنزليِّ، حَملاتِ تنظيفٍ وتعقيمٍ مكثَّفة لأدقِّ تفاصيلِ منزلهم، وأيُّ زيارةٍ غيرُ مَدروسةٍ ستدمِّر كامل مجهوداتِهم في القضاء على احتمالاتِ تسلُّل الوباءِ القاتل إليهم. ورغم كون الزَّوجين وولديهما أهمَّ خدَّامِ الكنيسة لكنَّهم علَّقوا كافَّة تفاعلاتِهم الكنسيَّة والاجتماعيَّة حتَّى زوال بلوى الوباء.

توتَّرَ الجميعُ معَ إصرارِ قارعِ البَابِ على فِعلتِه: "مَنْ يحاولُ اختِراقَ تحصيناتِ وِقَايتِنا لدَرءِ الوباءِ؟! أليس من واجبِهِ أن يتمترسَ في خندقِ منزلِهِ ليحمي نفسَهُ وغيرَهُ؟!" وسرعان ما اضطرموا رعبًا لمَّا تفحَّصت أبصارُهم منظرَ الزَّائرِ المجهول؛ أشعثُ الشَّعرِ، كَثُّ اللِّحيةِ، غمرتْهُ القاذوراتُ والأوساخُ، هزمتْ رائحتُهُ وخزَ المطهِّرات العائِمةِ في المنزلِ.

بصوتٍ مكسورٍ نَزَلت توسُّلاتُهُ سِياطًا عليهم: "اعذروا إلحاحيَ في قرعِ بابِكم في هذا اللَّيلِ؛ فلم يبقَ لي ملجأٌ إلَّاكم. خسرتُ عملي بسبب تخفيض عدد العمَّال تنفيذًا لإجراءات الحماية؛ فخسرتُ مكانَ إقامتي وقوتَ يومي. افترشتُ الشَّوارع ثمَّ سُجنت لمخالفتي حَظْر التَّجول...."

---

* راعي الكنيسة الإنجيلية الوطنية في خربا

بَدَا لهم، بسبب منظرِهِ ووصفِهِ لوضعِهِ، كقنبلةٍ مَوقتةٍ من الڤيروساتِ والأوبئة ستنفجرُ بلمسةٍ أو عَطسةٍ. لكنَّ قنبلةَ آلامٍ انفجرت في فِكريِّ الزَّوجين عندما عَرِفا هُويَّة زائِرِهِم: "كيف يجرؤ على المجيء إلينا بعد الكارثة التي ألحقها بِنا...؟!" وكأنَّه سَمِعَ ما دَارَ بفكرِهما فأكملَهُ: "أُقِرُّ بأنِّي آذيتُكما في الماضي؛ سامحاني وآوياني من التَّشرُّدِ والشّرطة." فاشتعلا مرارةً: "آذيتنا فقط؟! أنتَ دمَّرتَنا! أيَّ ألمٍ حقنتَهُ في ماضينا وتعيدُ إنعاشَهُ مُضاعفًا الآن؟!"

لم يكن نَكْءُ الجراح في قلبيِّ الزَّوجين أكثرَ إيلامًا مِنْ عَذابِ المأزقِ الذي أُقحِما فيهِ بسبب طلب عدوِّهما القديم. لن يلومَهما بشريٌّ إنْ طَردا مُقتحِمَ أمنِ أسرتِهما انتقامًا لمأساة الماضي وتطبيقًا لتعليمات الوقاية، ولكن..!! أين يهربان من المبادئ المسيحيِّة؛ المحبَّة، التَّضحية، الغفران... وغيرِها من القيمِ التي آمنا بها وكرَّسا حياتَهما ليعيشاها ويعلِّماها لولديهِما ومخدومِيهِما؟! كانت مسامحةُ عدوِّهما

المتربِّصِ بِسَلامَة أسرتِهما وإيواؤُهُ من تشرُّدِهِ التَّصرفَ العمليَّ لِمضمون "أَحِبُّوا أعدَاءَكُم، بَارِكُوا لاعِنيكُم، أحسِنوا لِمَنْ يُسِيءُ إِليكُم...." وَربَّما يكونُ هذا مُهلِكًا!

تضعُ جائحةُ الوباءِ الأخيرة، مُذْ بدأت وإلى زمنٍ غيرِ معروفٍ، العالمَ برمَّتِهِ على المِحَكِّ. فقد دَفَعَت، كغيرِها من الأزماتِ التي ضربت البشريَّةَ عبر عُصُورِها، الإنسانَ البَاحثَ عنِ المَعنى ليواجِهَ نفْسَهُ ويُعيدَ اكتشافَ وتعريفَ حقيقتِهِ. فما زالتْ تَحُثُّهُ ليمحِّصَ ثوابتَهُ ومسلَّماتِه الفكريَّة والعلميَّة والرُّوحيَّة؛ ليُسقِطَ الزَّائفَ منها ويرسِّخَ الحقيقيَّ في ضميرِهِ. ثمَّ يتقصَّى مقدرةَ ودأبَ إرادتِهِ على تحويل ما استقرَّ في وجدانِهِ من المعتقدات الذِّهنيَّة إلى أسلوب عيشٍ لحظيٍّ في مختبر التَّنفيذ العَمَليِّ.

ويبقى عدمُ الخوفِ والجرأَةُ، في تحليل منظومة الإيمانات واليقينيَّاتِ والعزمِ على عيشها، المحرِّكَ الضَّروريَّ لتحرِّي خفايا الذَّاتِ. كما يبقى الصِّدقُ مع النَّفسِ، خلالَ رحلة المواجهة وتَحَمُّلِ نتائجها، الضَّامنَ الوحيدَ لتغيير وتطوير ما يجبُ في إنسانِ اليومِ ليغدو إنسانُ ما بعد الجائحة حقيقيًّا؛ متآلفَ الكينونة، خاليًا من الانفصام، مُتَّسِقَ المعتقدِ والتَّصرفِ، مُتَوائِمَ الإيمان والحياة، قادرًا على صياغة مستقبلٍ ارتقائيٍّ أساسه التَّفاعل الواعي بين الاعتياديِّ والطارئ.

أشرقَ الصَّباحُ التَّالي لأمسية قرعِ البابِ بالفرحِ والفرحِ؛ حيثُ أعلنتِ الحكومة سُيطرتَها الأكيدة على خطر الوباء وتفشِّيّهِ وأصدرتْ قرارًا برفع الحجر المنزليّ. خَرجَ أفرادُ الأسرةِ من منزلهم يرافقُون زائرَهم وقدْ بَدَا كَعريسٍ في حفلِ زفافِهِ. شَكرَ أفرادَ الأسرة على استضافَتِهِم وإنقاذِهِم لَهُ: "كان أقصى تطلُّعي البارحة إيجادَ مأوىً، لكنَّ مُساعدَتَكم لي كانت المِحَكَّ الذي أخرج منِّي إنسانًا جديدًا شكلاً وجوهرًا، شكرًا لكم." وجالَ، لحظتَها، في خاطر الزَّوجين امتنانٌ لزائِرِهِم: "بل مجيئُك إلينا هو المِحَكُّ الذي أذاقَنا رَوعَة إيمانِنا الفَاعِلِ رغم أنَّه جرَّعَنا جسامةَ تكلُّفَتِهِ."

صحّتي

- كيف تعمل اللقاحات؟

كيف تعمل اللقاحات؟

نحن محاطون بالجراثيم، سواء في البيئة التي نعيش فيها أو في أجسامنا. وعندما يكون الشخص حساساً ويواجه كائنًا حياً ضارًا، فقد يؤدي ذلك إلى المرض والموت.

وتتوفر لدى الجسم سبل عديدة للدفاع عن نفسه ضد العوامل الممرضة (الكائنات الحية المسببة للأمراض). ويعمل كل من الجلد والمخاط والأهداب (الشعر المجهري الذي ينقل الحُطام بعيداً عن الرئتين) كحواجز مادية تمنع العوامل الممرضة من دخول الجسم في المقام الأول.

وعندما يُصاب الجسم بعامل ممرض، يفعّل الجسم دفاعاته، التي يُطلق عليها الجهاز المناعي، فتُهاجَم العوامل الممرضة وتُدمَّر أو تُدحر.

استجابة الجسم الطبيعية

العامل الممرض هو جرثومة أو فيروس أو طُفيلي أو فُطر يمكن أن يسبب المرض داخل الجسم. ويتكون كل عامل ممرض من عدة أجزاء فرعية، عادة ما تكون مرتبطة تحديداً بذلك العامل الممرض وبالمرض الذي يسببه. ويسمى الجزء الفرعي من العامل الممرض الذي يتسبّب في تكوين الأجسام المضادة (الأضداد) بالمستضد. وتشكل الأضداد التي تُنتَج استجابةً لمستضد العامل الممرض جزءاً مهماً من الجهاز المناعي. وتعتبر الأضداد بمثابة جنود في النظام الدفاعي لجسمك. ويُدرَّب كل ضدّ أو جندي في نظامنا على التعرف على مستضد معين. ولدينا الآلاف من الأضداد المختلفة في أجسامنا. وعندما يتعرض جسم الإنسان للمستضد لأول مرة، فإن استجابة الجهاز المناعي لذلك المستضد وإنتاجه لأضداد خاصة به يستغرقان بعض الوقت.

وفي الأثناء، يكون الشخص عرضة للإصابة بالمرض.

وتعمل الأضداد الخاصة بالمستضد، بمجرد إنتاجها، مع بقية عناصر الجهاز المناعي على تدمير العامل الممرض ووقف المرض. وبشكل عام، فإن أضداد عامل ممرض معين لا تحمي من عامل ممرض آخر إلا إذا كان العاملان الممرضان متشابهين تمامًا، مثل أبناء العمومة. وبمجرد أن ينتج الجسم أضداداً أثناء استجابته الأولية للمستضد، فإنه يكوّن أيضًا خلايا ذاكرة منتجة للأضداد تظل حية حتى بعد تغلّب الأضداد على العامل الممرض. وإذا تعرّض الجسم لنفس العامل الممرض مرة أخرى، فإن استجابة الأضداد ستكون أسرع بكثير وأكثر فعالية من المرة الأولى لأن خلايا الذاكرة تكون جاهزة لإطلاق الأضداد المناوئة لذلك المستضد.

ويعني ذلك أنه إذا تعرض الشخص للعامل الممرض الخطير في المستقبل، فإن جهازه المناعي سيكون قادرًا على التصدي له فوراً، وبالتالي سيحمي الشخص من المرض.

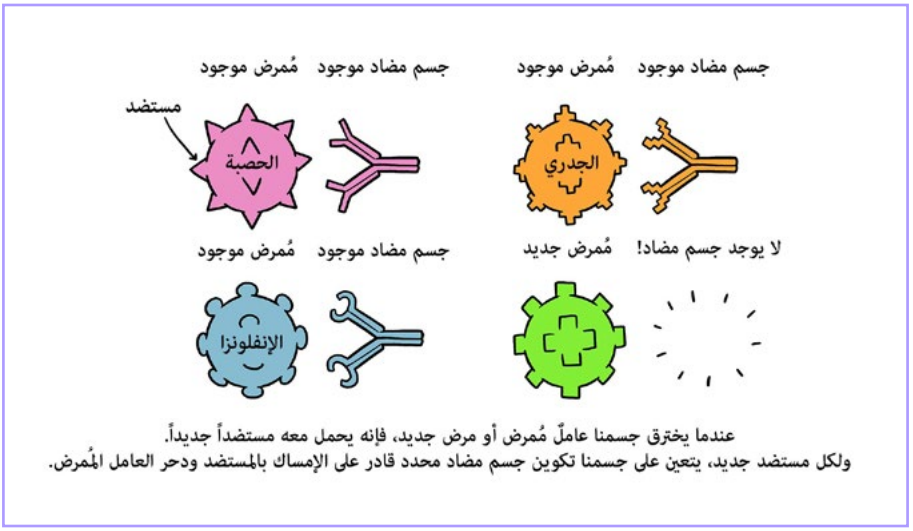

كيف تساعد اللقاحات؟

تحتوي اللقاحات على أجزاء موهّنة أو معطلة من كائن حي معين (مستضد) تؤدي إلى استجابة مناعية داخل الجسم. وتحتوي اللقاحات الحديثة على المخطط الأولي لإنتاج المستضدات بدلاً من المستضد نفسه. وبغض النظر عما إذا كان اللقاح يتكون من المستضد نفسه أو من المخطط الأولي الذي يتيح للجسم إنتاج المستضد، فإن هذه النسخة الموهّنة لن تسبّب المرض للشخص الذي يتلقى اللقاح، ولكنها ستدفع جهاز المناعة إلى الاستجابة قدر الإمكان كما لو كانت استجابته الأولى للعامل الممرض الفعلي.

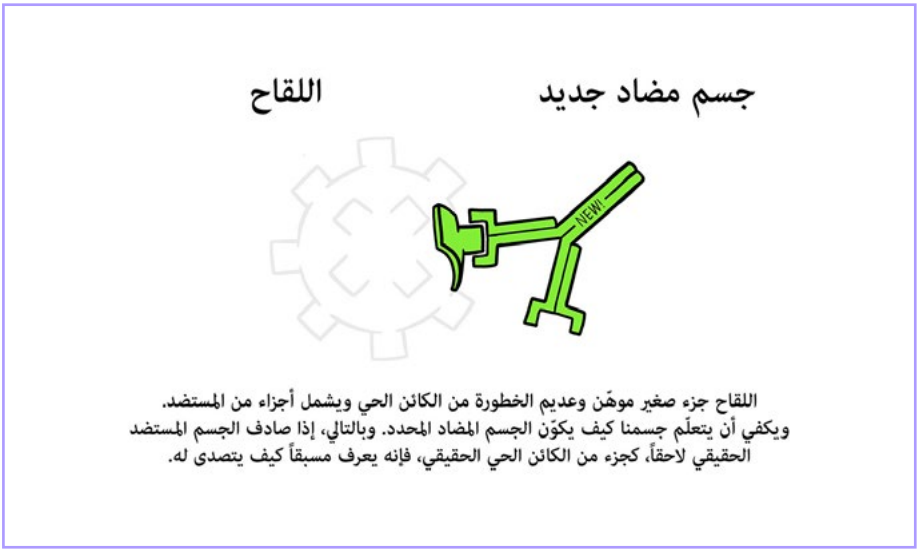

المناعة المجتمعية

عندما يتلقّى شخص ما التطعيم، فإن من المحتمل جدا أن يتمتع بالحماية ضد المرض المستهدف. ولكن، لا يمكن تطعيم الجميع. فقد يتعذّر على الأشخاص

المصابين باعتلالات صحية كامنة تسببت في إضعاف جهازهم المناعي (مثل السرطان أو فيروس العوز المناعي البشري) أو الذين يعانون من حساسية شديدة لبعض مكونات اللقاحات تلقّي التطعيم بلقاحات معينة. ولا يزال من الممكن حماية هؤلاء الأشخاص إذا كانوا يعيشون بين أشخاص آخرين تلقّوا التطعيم. وعندما يتلقّى عدد كبير من أفراد المجتمع المحلي التطعيم، فإنه سيصعب على العامل الممرض الانتشار لأن معظم الأفراد الذين يتعرضّون له يتمتعون بالمناعة. وهكذا، فإنه كلما زاد عدد الأشخاص الذين يتلقّون التطعيم، قلّ احتمال تعرّض الأشخاص الذين تتعذّر حمايتهم باللقاحات لخطر العوامل الممرضة الضارة. ويُطلق على ذلك المناعة المجتمعية، أو ما يُعرف عموماً بمناعة القطيع.

ويكتسي هذا الأمر أهمية خاصة بالنسبة للأشخاص الذين لا يتعذّر تطعيمهم فحسب، وإنما أيضا قد يكونون أكثر عرضة للأمراض التي نتلقّى التطعيم ضدها. ولا يوجد لقاح واحد يوفر حماية بنسبة ١٠٠٪، كما أن المناعة المجتمعية لا توفر الحماية الكاملة للأشخاص الذين لا يمكن تطعيمهم بشكل مأمون. ولكن، من خلال المناعة الجماعية، سيتمتع هؤلاء الأشخاص بقدر كبير من الحماية بفضل تطعيم الأشخاص الذين من حولهم.

إنّ التطعيم لا يحميك وحدك، وإنما يحمي أيضاً أفراد المجتمع المحلي الذين يتعذّر تطعيمهم. فلا تتردد في تلقّي التطعيم إذا تسنّى لك ذلك.

وتتطلب بعض اللقاحات جرعات متعددة، تُعطى بفترة زمنية فاصلة قدرها أسابيع أو أشهر. وفي بعض الأحيان، يعد ذلك ضروريا لإتاحة إنتاج أضداد طويلة العمر وتكوين خلايا الذاكرة. وعلى هذا النحو، يُدرَّب الجسم على مكافحة الكائن الحي المحدد المسبّب المرض من خلال تكوين ذاكرة خاصة بالعامل الممرض بهدف

مكافحته بسرعة في حال التعرّض له مستقبلاً.

وعلى مر التاريخ، تمكّن الإنسان من استحداث لقاحات ضد عدد من الأمراض المهددة الحياة، بما فيها التهاب السحايا والتيتانوس والحصبة وشلل الأطفال.

وفي أوائل القرن العشرين، كان شلل الأطفال مرضاً عالمياً، حيث تسبب في إصابة مئات الآلاف من الأشخاص بالشلل كل عام. وبحلول عام ١٩٥٠، استُحدث لقاحان فعالان ضد هذا المرض. غير أن التطعيم في بعض مناطق العالم، ولا سيما في أفريقيا، ما زال غير شائع بما يكفي لوقف انتشار شلل الأطفال. وفي ثمانينات القرن الماضي، بدأ بذل جهود عالمية موحدة من أجل استئصال شلل الأطفال من على وجه الأرض. وعلى مدى سنوات وعقود عديدة، انتشر التطعيم ضد شلل الأطفال في جميع القارات، من خلال زيارات التمنيع الروتيني وحملات التطعيم الجماعي. وقد جرى تطعيم ملايين الأشخاص، معظمهم من الأطفال، وفي آب/ أغسطس ٢٠٢٠، تم الإشهاد على خلو القارة الأفريقية من شلل الأطفال، لتلتحق هكذا بجميع المناطق الأخرى من العالم التي تمكّنت من استئصال شلل الأطفال، باستثناء باكستان وأفغانستان.

ما هي مكوّنات اللقاحات؟

تحتوي اللقاحات على شدف صغيرة جداً من الكائن الحي المسبب للمرض أو على المخطط الأولي لتكوين شدف صغيرة جداً. وتحتوي أيضاً على مكوّنات أخرى للحفاظ على مأمونية اللقاحات ونجاعتها. وتُدرج هذه المكوّنات الأخيرة في معظم اللقاحات وتُستخدم منذ عقود في مليارات الجرعات اللقاحية.

ولكل مكوّن من المكوّنات اللقاحية غرض محدد وهو يخضع للاختبار في عملية

التصنيع. وتُختبر المكوّنات بأجمعها للتأكد من مأمونيتها.

المستضد

تحتوي كل اللقاحات على مكوّن نشط (المستضد) يولّد استجابة مناعية أو على المخطط الأولي لتكوين المكوّن النشط. وقد يكون المستضد جزءاً صغيراً من الكائن الحي المسبب للمرض مثل البروتين أو السكر، أو قد يكون الكائن الحي بأكمله في شكله الموهّن أو المعطل.

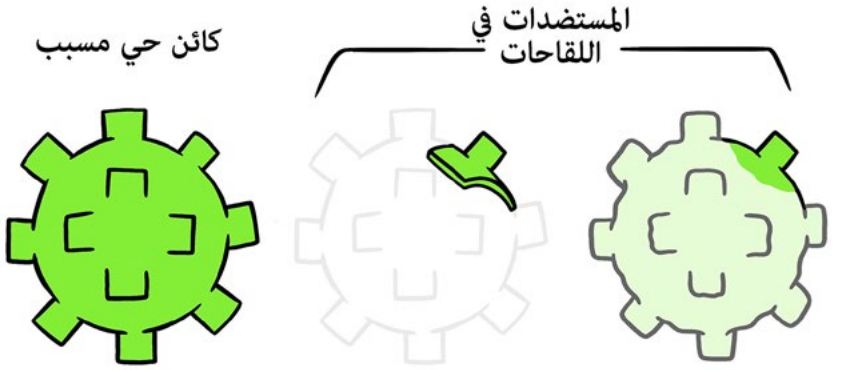

المكوّن الرئيسي في اللقاح هو المستضد وهو إما جزء ضئيل من الكائن الحي المسبب للمرض، أو نسخة موهنة وغير خطرة منه، بحيث يتمكن جسمك من تعلم الطريقة المحددة لمكافحته دون الإصابة بالمرض.

المواد الحافظة

تحول المواد الحافظة دون تلوث اللقاح بعد فتح القارورة التي تحويه في حال استخدامه لتطعيم أكثر من شخص واحد. ولا يحتوي بعض اللقاحات على مواد حافظة نظراً إلى حفظ هذه اللقاحات في قوارير ذات جرعة واحدة والتخلص

منها بعد إعطاء الجرعة الوحيدة. ومادة ثنائي فينوكسي إيثانول هي أكثر المواد الحافظة شيوعاً وقد استُخدمت لسنوات عديدة في عدد من اللقاحات وتُستعمل في طائفة من منتجات رعاية الطفل وتعتبر مادة مأمونة لاستخدامها في اللقاحات لأنها قليلة السمية لدى الإنسان.

المواد المثبّتة

تمنع المثبتات من حدوث تفاعلات كيميائية داخل اللقاح وتحول دون التصاق مكوّنات اللقاح بقارورة اللقاح.

ويمكن أن تكون المثبتات من السكريات (اللاكتوز والسكروز)، والأحماض الأمينية (الغليسين)، والهلام، والبروتينات (الألبومين البشري المأشوب المشتق من الخميرة).

المواد الفاعلة بالسطح

تحافظ المواد الفاعلة بالسطح على الامتزاج الجيد لجميع مكوّنات اللقاح. وتحول دون ترسّب العناصر الموجودة في الشكل السائل للقاح وتكتلها. وغالباً ما تُستخدم أيضاً في الأغذية مثل البوظة (الآيس كريم).

المواد المتبقية

البقايا هي كميات قليلة جداً من مختلف المستحضرات المستخدمة أثناء تصنيع اللقاحات أو إنتاجها ولا تشكل مكوّنات نشطة في اللقاح المكتمل إعداده. وتختلف هذه المستحضرات حسب عملية التصنيع المستخدمة وقد تشمل بروتينات البيض أو الخميرة أو المضادات الحيوية. والكميات المتبقية من هذه المستحضرات التي قد توجد في لقاح ما هي قليلة جداً لدرجة أنها تُقاس كأجزاء في المليون أو أجزاء في المليار.

المواد المخففة

المادة المخففة هي سائل يُستخدم لتخفيف لقاح كي يبلغ مستوى التركيز الصحيح قُبيل استخدامه. والمادة المخففة الأكثر استخداماً هي الماء المعقم.

المواد المساعدة

يحتوي بعض اللقاحات أيضاً على مواد مساعدة. وتحسن المادة المساعدة الاستجابة المناعية للقاح، أحياناً من خلال الاحتفاظ باللقاح في موضع الحقن لفترة أطول قليلاً أو من خلال تحفيز الخلايا المناعية الموضعية.

وقد تكون المادة المساعدة كمية قليلة جداً من أملاح الألومنيوم (مثل فوسفات الألومنيوم أو هيدروكسيد الألومنيوم أو كبريتات البوتاسيوم والألومنيوم). وثبت أن الألومنيوم لا يسبب أي مشاكل صحية في الأمد الطويل ويبتلع الإنسان الألومنيوم بانتظام عن طريق الأكل والشرب.

كيف تطوَّر اللقاحات؟

يُستخدم معظم اللقاحات منذ عقود ويطعَّم بها ملايين الأشخاص سنوياً بأمان. وعلى غرار جميع الأدوية، يجب أن يخضع كل لقاح لاختبارات مكثفة وصارمة لضمان مأمونيته قبل إمكانية بدء استخدامه في برنامج تطعيمي خاص ببلد ما.

ويجب أن يخضع كل لقاح قيد التطوير في المقام الأول لعمليات فحص وتقييم ترمي إلى تحديد المستضد الذي ينبغي استخدامه لتوليد الاستجابة المناعية. وتنفَّذ هذه المرحلة قبل السريرية دون اختبار على الإنسان. ويُختبر اللقاح التجريبي أولاً على الحيوانات لتقييم مأمونيته وقدرته على الوقاية من المرض.

وإذا ولّد اللقاح الاستجابة المناعية المنشودة، فإنه يُختبر بعد ذلك في إطار

تجارب سريرية بشرية على ثلاث مراحل.

المرحلة ١

يُعطى اللقاح لعدد صغير من المتطوعين لتقييم مأمونيته وتأكيد توليده للاستجابة المناعية وتحديد الجرعة المناسبة. وعموماً، تُختبر اللقاحات في هذه المرحلة لدى متطوعين من الشباب البالغين والمتمتعين بصحة جيدة.

المرحلة ٢

يُعطى اللقاح بعد ذلك لعدة مئات من المتطوعين لمواصلة تقييم مأمونيته وقدرته على توليد الاستجابة المناعية. ويتمتع المشاركون في هذه المرحلة من الاختبار بخصائص مماثلة (مثل السن والجنس) لخصائص الأشخاص الذين يستهدفهم اللقاح. وتُجرى عادة تجارب متعددة في هذه المرحلة لتقييم مختلف الفئات العمرية ومختلف تركيبات اللقاح. وتُدرج عادة مجموعة من الأشخاص غير المطعمين باللقاح في هذه المرحلة كمجموعة للمقارنة من أجل تحديد ما إذا كانت التغييرات الطارئة في مجموعة الأشخاص المطعمين تعزى إلى اللقاح أو ما إذا حدثت بالصدفة.

المرحلة ٣

يُعطى اللقاح في هذه المرحلة لآلاف المتطوعين، ويُقارن بمجموعة مماثلة من الأشخاص الذين لم يطعَّموا باللقاح لكنهم تلقوا منتجاً مستخدماً كأساس للمقارنة، لتحديد مدى نجاعة اللقاح ضد المرض الذي يستهدف الوقاية منه ولدراسة مأمونيته لدى مجموعة أكبر بكثير من الأشخاص. وتُجرى التجارب في ظل المرحلة الثالثة في معظم الأحيان على نطاق عدة بلدان وعدة مواقع داخل بلد معين لضمان انطباق نتائج أداء اللقاح على عدة فئات سكانية مختلفة.

وأثناء التجارب التي تُجرى في المرحلتين الثانية والثالثة، تُخفى على المتطوعين والعلماء الذين يجرون الدراسة المعلومات عن أي المتطوعين تلقى اللقاح قيد الاختبار أو المنتج المستخدم كأساس للمقارنة. ويُسمى هذا التدبير "التعمية" وهو تدبير ضروري لضمان عدم تأثر المتطوعين والعلماء في تقييمهم للمأمونية أو النجاعة بمعرفة من تلقى أي منتج. وبعد انتهاء التجربة والحصول على جميع النتائج، تُكشف للمتطوعين والعلماء الذين أجروا التجربة المعلومات عن هوية من

تلقى اللقاح ومن تلقى المنتج المستخدم كأساس للمقارنة.

وعندما تتوافر نتائج جميع هذه التجارب السريرية، يلزم اتخاذ سلسلة من الخطوات، بما في ذلك إجراء عمليات لاستعراض النجاعة والمأمونية من أجل الحصول

على الموافقة التنظيمية وموافقة سياسات الصحة العامة. ويستعرض المسؤولون في كل بلد عن كثب بيانات الدراسة ويقررون التصريح أو عدم التصريح باستخدام اللقاح. ويجب أن تثبت مأمونية اللقاح ونجاعته لدى شريحة واسعة من السكان قبل الموافقة عليه وبدء استخدامه في إطار برنامج وطني للتمنيع. ويحدَّد مستوى عال للغاية لمعياري مأمونية اللقاحات ونجاعتها علماً بأن اللقاحات تُعطى لأشخاص متمتعين بخلاف ذلك بصحة جيدة وغير مصابين بالمرض المعني تحديداً.

وتُجرى عمليات رصد إضافية باستمرار بعد بدء استخدام اللقاح. وتوجد نظم لرصد مأمونية جميع اللقاحات ونجاعتها. ويمكّن ذلك العلماء من تتبع تأثير اللقاحات ومأمونيتها حتى عند استخدامها لدى عدد كبير من الأشخاص، على مدى فترة زمنية طويلة. وتُستخدم هذه البيانات لتعديل السياسات الخاصة باستخدام اللقاحات بهدف تحسين تأثيرها على وجه أمثل وتسمح أيضاً بتتبع اللقاح بأمان طوال فترة استخدامه.

وعندما يُستخدم اللقاح، يجب رصده باستمرار للتأكد من أنه لا يزال مأموناً.

المراجع:

https://www.who.int/ar/news-room/feature-stories/detail/how-do-vaccines-work
https://www.who.int/ar/news-room/feature-stories/detail/how-are-vaccines-developed

النشرة ١٨٦٣ ١٧٥
مجلة إنجيلية جامعة

للمساهمة في المجلة

ترسل جميع المساهمات والمراسلات إلى المجلّة
بالبريد الإلكتروني على العنوان:
editor@annashra.org

أو يمكن إرسالُها باسم رئيس التحرير إلى العنوان البريدي التالي:

السينودس الإنجيلي الوطني في سورية ولبنان - مجلّة النشرة
ص. ب. ٨٩٠-٧٠
أنطلياس - لبنان

هاتف النشرة: ٧-٤٦٠٤٠٤ (٩٦١+)
هاتف رئيس التحرير: ٧٦-٣١١٠٤٤ (٩٦١+)

لدعم المجلة

تشكر النشرة محبّتكم، كما تشجّعكم على دعم رسالتها الروحية، عبر
إرسال تبرعاتكم باسم مجلة النشرة على البريد التالي:

السينودس الإنجيلي الوطني في سورية ولبنان - مجلة النشرة
ص.ب. ٨٩٠ - ٧٠
أنطلياس - لبنان

أو بالإمكان التواصل مع رئيس التحرير: ٧٦٣١١٠٤٤ (٩٦١+)
rtaleb@synod-sl.com

مكتبة النشرة

Facebook.com/annashra.org

www.annashra.org